الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المطبوعة البيداغوجية في مقياس النظرية النسقية العربية السنة أولى ماستر تخصص لسانيات عربية

إعداد :د / حمزة السعيد

السنة الجامعية 2018/2017

بسم الله الرحمان الرحيم

أستاذ المادة : حمزة السعيد

المقياس : النظرية النسقية العربية

المستوى : السنة أولى ماستر تخصص لسانيات عربية

محتوى البرنامج :

المحاضرة الأولى : مفهوم النظم ، النسق ، التأليف ، التعليق

المحاضرة الثانية : مفهوم النظم في الدراسات اللغوية البلاغية

المحاضرة الثالثة : نظرية النظم والإعجاز القرآني

المحاضرة الرابعة : نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني

المحاضرة الخامسة : نسبتها إلى عبد القاهر الجرجاني

المحاضرة السادسة : الآراء المنكرة للنسبة

المحاضرة السابعة : النظم بين البلاغة والنحو

المحاضرة الثامنة : الدلالة والسياق

المحاضرة التاسعة : نظرية النظم وأثرها في الدرس النحوي

المحاضرة العاشرة : أثر نظرية النظم في المحدثين من النحاة

المحاضرة الحادي عشر : أهم الإنتقادات الموجهة لها

المحاضرة الثاني عشر : إسهامات الفاسي الفهري في النظرية النسقية

مدخل :

يعد مقياس النّظرية النّسقية من المقاييس المبرمجة في التكوين البيداغوجي والعلمي في السنة أولى ماستر تخصص لسانيات عربية ، أختيرت موضوعاته بعناية لغرض قراءة تراثنا العربي ، و معرفة إسهامات علماء اللغة العربية القدامى في تأسيس النظريات اللسانية ومنها النظرية النسقية العربية ممثلة في نظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني وتشعباتها النحوية والبلاغية على السواء من خلال تتبع المراحل التي اجتازتها النظرية النسقية العربية ثم خصائصها المتعددة المبثوثة في كتابي دلائل الإعجاز و أسرار البلاغة للجرجاني ، ومن ثمة فإن تدريس موضوعات النظرية النسقية جاء لتحقيق مجموعة من الأهداف العامة والخاصة ، فالعامة تتمثل فيما يلي

1-أن يعرف الطالب نظرية النّظم .

2- أن يعرف إسهامات علماء العرب في تأسيس النّظرية النّسقية العربية ممثلة في نظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني .

3- أن يعرف أنّ النّظم في جوهره هو النّحو في أحكامه بمعنى أنّ النّظم والنّحو مصطلحان مترادفان .

4- أن يعرف أنّ النّحو هو أساس النّظم والبلاغة معا

5- أن يكون الطالب قادرا على التمييز بين النّظم العادي والنّظم الفني الراقي .

6- أن يكون قادرا على تحويل المعارف النظرية إلى تطبيقات من خلال التركيز على الأمثلة التطبيقية بمفاهيم و أسس نّظرية النّظم .

7- أن يكون قادرا على فهم خصائص اللغة العربية .

8- أن يكون الطالب قادرا على نظم الكلام دون أخطاء .

9- أن يستثمر مفاهيم نظرية النّظم في فهم اللغة العربية وتعلمها .

واتحقيق هذه الأهداف العامة حاولت المطبوعة الإجابة على الأسئلة الرئيسية المطروحة وهي :

1- ماهو النّظم ؟ .

2- ماهي جهود علماء البلاغة والإعجاز القرآني في دراسة النّظم ؟

3- إذا كان عبد القاهر الجرجاني مؤسس نظرية النّظم فما هي أسس ومفاهيم هذه النظرية ؟ وهل تأثر بجهود سابقيه ، وهل هي نظرية خالصة من إبداع الجرجاني ؟

4- ماهي العلاقة بينالنحو والنّظم والبلاغة ؟ .

5- ما دور السياق في تحديد الدلالة عند عبد القاهر الجرجاني ؟ .

6- ماهو أثر نظرية النّظم في الدرس النحوي وفي النحاة المحدثين ؟ .

7- ماهي الإنتقادات الموجهة لنظرية النّظم ؟ .

المحاضرة الأولى :

مفهوم النّظم التّأليف التّعلق النّسق

المحاضرة الأولى : مفهوم النّظم التّأليف التّعلق النّسق

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصّة :

1-أن يعرف الطالب ويميز بين مفاهيم المصطلحات التالية : النّظم ، التّأليف ، التّعلق ، النّسق .

تُعد نّظرية النّظم من أهم إنجازات النحو العربي والبلاغة ، وقبل أن تكون نظرية لها أسسها وقواعدها، فقد مرّت عبر مراحل مختلفة شهدت دراسات ومحاولات فردية بلاغية ونقدية ولغوية إلى أن وصلت مرحلة النضج والاترتقاء على يد عبد القاهر الجرجاني الذي استفاد ولا شك من جهود سابقيه مؤسسا نظرية النظم من خلال كتابيه "دلائل الإعجاز" وأسرار البلاغة".

1-مفهوم النّظم:

لغة:

جاء في معجم العين للخليل: نظم: النظم نظمك خرزا بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظام أي تستقيم طريقته، والنظام كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام".[1]

وفي لسان العرب: "نظم، النظم: التأليف نظمه ينظمه نظما ونظمه فانتظم وتنظم، نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى

[1]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج8 مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ص165.

بعض فقد نظمته ... والنظام كل ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره وكل شعبة منه وأصل نظام، ونظام كل أمر ملاكه، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم".[1]

يتضح من خلال هذين التعريفين أن المفهوم اللغوي للنظم هو جمع الأشياء وضمها وفق نسق خاضع للنظام والترتيب .وهو معنى له صلة بالمعنى الاصطلاحي لكلمة نظم

اصطلاحا:

يعرف الشريف الجرجاني النّظم بأنه " تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب مايقتضيه العقل ، وقيل الألفاظ المرتبة المسوقة المعبرة دلالتها على مايقتضيه العدد " [2] ويعرفه عبد القاهر الجرجاني قائلا: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها"[3] ومعنى هذا أن النظم هو تركيب الكلام في نسق لغوي قائم علىضم الكلمات إلى بعضها وفق قواعد النحو وقوانينه المعروفة. إن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه ، وبعبارة أخرى فالنظم ليس إلاّ تمثيلا لقواعد النحو وتجسيدا لها من خلال بنية الجملة أو الكلام .

2- التأليف:

يختار المتكلم عدة كلمات ليؤلف بها جملة مفيدة متبعا قواعد النحو الصحيحة المتعارف عليها، وبذلك يصبح التأليف طريقة المتكلم أو أسلوبه في نظم الكلام، علما أنّ النظم يتحكم فيه عنصرا الاختيار والتأليف، يقول أحمد درويش "الاختيار يتمثل في إيثار عنصر على آخر والتأليف يتمثل في طريقة توزيع هذه العناصر

---

[1]- ابن منظور، لسان العرب تح: عامر أحمد حيدر، ج12، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص686.

[2] التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1985 ، ص 261 .

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز،تقديم علي أبو زقية ،موفم للنشر ،1991، ص24.

داخل الجملة ووضع كل عنصر في المكان الذي يخدم قضية البناء الفني المحكم للعبارة".[1]

إن وضع الكلمات داخل الجملة والتأليف بين عناصرها يكون من خلال إقامة العلاقات النحوية التي يوفرها قانون اللّغة والنحو "يراد بالتأليف وضع كل كلمة في مكانها المناسب من العبارة وفقا لمعناها النحوي، فوضع الكلمة في موضع الابتداء غير وضعها في مكان الإخبار، ومجيء الخبر نفسه في موضعه مؤخرا غير مجيئه في غير موضعه مقدما، وكذلك المبتدأ أو المفعول، قد يناسب أحيانا أن يأتي بعد الفعل والفاعل، وقد يناسب أن يتوسطهما أو يتقدمهما ... وفي كل حالة من الحالات يقف وراء التأليف معنى نفسي يكمن وراء اختيار الشكل النحوي المناسب للعبارة".[2]

يفهم من هذا أن التأليف هو تركيب الكلمات النحوية أو المعاني النحوية الوظيفية كالفاعلية والمفعولية والحال والجار والمجرور وغيرها بأن تأخذ الصدارة أو تأتي في وسط التركيب اللغوي أو تتأخر ، ومن ثمة فالنحو يجعل التأليف نسقا لغويا خاضعا إلى نظام نحوي ما والنحو لا بد له من كلمات يؤلفها لابد إذن من وجود عنصر التنسيق والتأليف بين المواد الخام للبناء حتى يتم له الشكل الفني، وإذا نحن حاولنا أن ننظر إلى الأساس الذي يقام عليه التأليف "في نظرية النظم" فسنجد هذا الأساس، هو الأساس النحوي أيضا[3]، مع الإشارة إلى أن التأليف يكون على مستوى الكلمات لإنشاء الجملة، ويكون على مستوى الجمل باستعمال الروابط اللغوية من حروف و أدوات .

3- النسق:

---

[1]- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص113.

[2]- المرجع نفسه، ص170.

[3]- المرجع نفسه، ص166.

لغة :النون والسين والقاف يدل على تتابع الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد، قد عطف بعضه على بعض، وأصله قولهم ثغر نسق إذا كانت الأسنان متناسقة، وخرز نسق: منظم[1]. والنسق من كل شيء، ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، النحويون يسمونه حروف العطف حروف النسق، لأنّ الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وثغر نسق إذا كانت الأسنان متساوية ونسق الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها والتنسيق التنظيم، النسق ما جاء من الكلام على نظام: رأيت نسقا من الرجال والمتاع أي بعضها إلى جنب بعضها.[2] ومفهوم النسق يترجم أحيانا بالنظام (système) وهذه الكلمة في اللغات الأوروبية مصدرها كلمة يونانية (sustema) ، أي وضع أشياء بعضها مع بعض [3]

إذا فمعاني مادة "نسق" في اللغة تحوم حول المعاني التالية: النظام، التتابع، الترتيب، التناسق، الجمع وكلها ذات علاقة وطيدة مع المعنى الاصطلاحي.

اصطلاحا :

وعلى هذا الأساس فالنسق اصطلاحا هو مجموعة من الوحدات والوظائف مثل النسق اللساني ونسق الموضة،[4] شريطة أن تكون هذه الوحدات مترابطة "النسق مكون من مجموعة من العناصر الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر"[5]. وترابط تلك العناصر وتفاعلها دليل على تناسقها

---

[1]- أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب النون، ج5 ، مادة (نسق)، ص420.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، ج2، مادة نسق، ص4412.

[3]Robert.p.le petit robert1,dictionnaire le robert ,paris , 1992,p .109 نقلا عن : عبد الرحمن التومي ، الكفايات مقاربة نسقية ، مطبوعات الهامل ، وجدة ، المغرب ، ط6، 2007، ص 46.

[4]– barthes, système de la mode, ed seuil, paris, 1967, p169 نقلا عن: أحمد يوسف القراءة النسقية منشورات الاختلاق، الجرزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007، ص133

[5]- محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1996، ص158.

"النسق عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة".[1] والنسق حسب عبد المطلب محمد خليفة " عبارة عن مجموعة من العناصر المتفاعلة فيما بينها ، لكي تؤدي وظيفة معينة ، ويسهم كل منها بوزن معين حسب أهميته ودرجة فاعليته داخل النسق ".[2]

وفي ضوء ماسبق من تعريفات يمكن تحديد النسق بأنه كل مكون من عناصر متظافرة ومتداخلة ومنظمة حسب غرض معين ولا يمكن تعريفها إلا في ضوء علاقاتها ببعضها حسب موقعها داخل الكل . ومن ثمة فالعلاقة تخضع لتنظيم داخلي والعلاقة بين عناصر النسق ليست ثابتة ولكن النسق يحافظ على توازنه بفعل قوانين ظابطة [3].

يرتبط النسق إذا بتأليف الجملة أو الجمل، والتأليف يكون بين عناصر تترابط وتتفاعل بينها من خلال التركيب النحوي وما يتضمنه من قواعد نحوية لابد من مراعاتها، وبالتالي فالنسق مرادف للنظم.

4- التعليق:

يدل معنى الفعل علق على التشبث والتمسك والالتصاق كما في قولنا علق السمك بالشبكة، وعلق الشوك بثوبه، وعلق الطفل بأمه، كما تقول: علق إعلانا على الحائط بمعنى وضعه عليه وألصقه.

وفي الاصطلاح هو العلاقات النحوية بين الكلمات والارتباطات القائمة بينها معنويا مثل تعليق المبتدأ بالخبر وتعلق الاسم بالفعل مثل الفعل والفاعل أو المفعول به، وتعلق الحرف بهما، أو لفظيا مثل العلاقة الاعرابية، الرتبة.

---

[1] – المرجع السابق ، ص 158 .

[2] عبد الرحمن التومي ، الكفايات مقاربة نسقية ، ص 46.

[3] ينظر : المرجع نفسه ، ص ص 46، 47.

المحاضرة الثانية :

مفهوم النّظم في الدّراسات اللّغوية البلاغية:

المحاضرة الثانية : مفهوم النّظم في الدّراسات اللّغوية البلاغية

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

1-أن يعرف الطالب جهود علماء اللغة والبلاغة في دراسة النظم بوصفها الإرهاصات الأولى لتأسيس نظرية النّظم .

أشار كثير من الدارسين إلى النظم، وذلك من خلال حديثهم عن الكلام وتحليله ودراسة الجملة ، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير أو حذف أو ذكر أو فصل أو وصل، وفيما يلي ذكر لمن بحث أو ألف فيه، وهو إحصاء مرتب ترتيبا زمنيا يشير إلى بذور هذه الفكرة عند النحاة والبلاغين ومؤلفي كتب الاعجاز.[1]

1. أبو محمد عبد الله بن المقفع (ت142هـ) يمثل أقدم من أشارت إليه الكتب العربية، يقول عن صياغة الكلام: "فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولا قولا بديعا، فليعلم الواصفون المخبرون -أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ- ليس زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائد وسموطا وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيد بذلك حسنا فسمى بذلك صائغا رقيقا، وكصياغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية".[2]

شبهابن المقفع النظم بحبات اللؤلؤ التي يضعها الصائغ منظمة واضعا كل لون في مكانه المناسب، والأمرنفسه بالنسبة إلى الكلام فمتى كانت الكلمات في موضعها مرتبة منتظمة مناسبة لغيرها كان الكلام مستحسنا من الناس لنظمه ونسقه .

---

[1]- حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، دار الحرية للطباعة، بغداد (د، ط) 1979، ص06.

[2]- المرجع نفسه، ص06.

2. عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت 180هـ) لم يشر إلى مصطلح النظم، إلا أنه تحدث عن استقامة الكلام وحسنه من خلال تأليف العبارة يقول "هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة: فمنه مستقيم حسن، ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فالمستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس وسآتيك غدا ، أما المُحال فأن تنتقد أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدارأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[1]

يبين سيبويه من خلال حديثه عن مستويات الكلام أن اللغة نظام " حيث تندمج في توائم حميم قوانين النحو مع قوانين الدلالة ،أو بعبارة أخرى قوانين المعنى النحوي الأولي وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة [2]

ومن الموضوعات التي تحدث عنها سيبويه والتي تندرج ضمن نظم الكلام التقديم والتأخير يقول: "وزعم الخليل –رحمه الله– أنه يستقبح أن يقول: قائم زيد، ذلك إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيد عمرو، وعمرو على ضرب مرتفع، وكان الحد فيه ان يكون مقدما وهذا عربي جيد، وذلك قولك: تميمي أنا ومشنوء من يشنؤك وجل عبد الله، وخز صفتك".[3]

يشير سبويه إلى أن الكلام إذا لم يكن مبنيا على أصول النحو وقواعده ومراعاة ما يقتضيه المقام، فإنه يؤدي إلى اللبس أو إلى المحال، ومن هنا فإن اختيار الكلمات

---

[1]- أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1977، ص ص25–26.

[2]محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة مدخل لدراسة النحو الدلالي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 ،ص 81.

[3]- سيبويه، الكتاب ،ج1، ص127.

لا يكون عشوائيا حسب هوى المتكلم، بل يكون خاضعا للنظام اللغوي وما يتضمنه من قوانين ومناهج.[1]نحوية تجعل تركيبا لغويا ما يتصف بالانتظام والنسقية من عدمها .وعليه فقواعد النحو أساس نسق الكلام .

ويجب الإشارة في هذا السياق إلى أن التقديم والتأخير موضوع مشترك بين النحو والبلاغة أشار فيه سيبويه إلى أنه يأتي لأغراض بلاغية للعناية والاهتمام، أو للتأكيد، كما يأتي لأغراض غير بلاغية[2].

3. بشر بن المعتمر (ت 210هـ) جاء في صحيفته ما يشير إلى النظم عندما قال: "فإذا وجدت اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية، لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، كانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها".[3]

إن اختيار موقع اللفظة ومناسبتها لبقية الكلمات إشارة ضمنية إلى إئتلاف الكلمات ونظمها أو نسق الكلام . ولو أن بشرا لم يذكر أهمية النحو في تأسيس النظم .

4. كلثوم بن عمرو العتابي (ت 220هـ) جعل ثنائية الألفاظ للمعاني مثل الأجساد للأرواح وأن وضع اللفظ للمعنى المناسب "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية".[4]فمراعاة ترتيب الألفاظ هو الذي يحقق النظم بدليل أن أي تغيير في

---

[1]- صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2004، ص96.

[2] سبويه ، الكتاب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ج1، مكتبة الخانجي ، ط3، القاهرة ، 1996، ص 34

[3]- حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، ص09.

[4]- أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: مفيد قحيمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص179.

ترتيبها عند تقديمها أو تأخيرها يؤدي إلى الإخلال في نظم الكلام، أو تشويه التركيب اللغوي .

5أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395هـ) تحدث عن النظم في كتابه "الصناعتين حين عقد بابا في البيان عن رداءة التأليف وحسن التأليف أو جودة الرصف والسبك وخلاف ذلك قائلا " "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية".[1] فحسن التأليف بين الكلمات أو رصف بعضها إلى جوار بعض والتركيب اللغوي مصطلحات ثلاث تحوم حول النظم وتؤدي معناه .

وفي سياق آخر يؤكد أن عدم اختيار الألفاظ المناسبة وسوء تموقعها في التركيب يؤديان إلى الاخلال بالنظم، "...أن يكون لفظك شريفا عذبا، وفخما سهلا، مركزها، ولم تتصل بسلكها، وكانت قلقة في موضعها نافرة عن مكانها، فلا تكرهها على اغتصاب الماكن، والنزول في غير أوطانها... وينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيبا صحيحا فنقدم منها ما يحسن تقديمه ونؤخر منها ما يحسن تأخيره".[2]

إن القول بترتيب الألفاظ ومناسبتها لبعضها بوضعها في أماكنها، وحسن تقديمها أو تأخيرها تمثل إشارة ضمنية إلى بعض قضايا النظم دون أن يصرح أبو هلال بالمصطلح .وعليه فإن جهود اللغويين كانت تشير ضمنيا إلى النظم دون أن تسميه أو تصطلح عليه . ورغم انها إشارات متفرقة ينقصها التنظير والتطبيق إلا أنها مهدت السبيل فيما بعد لتأسيس نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجاني .

---

[1]المصدر السابق ،ص161.

[2]- المصدر نفسه، ص ص152.

المحاضرة الثالثة :

مفهوم النّظم والإعجاز القرآني:

المحاضرة الثالثة : مفهوم النّظم والإعجاز القرآني

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

1- أن يعرف الطالب إسهامات علماء الإعجاز القرآني في دراسة النّظم .

2- أن يعرف أن الإعجاز في القرآن يكمن في نظمه وتراكيبه اللغوية .

في العصر العباسي وفي زمن المعتصم ظهرت فتنة خلق القرآن على يد وزيره أحمد بن أبي داود (سنة 220هـ) وكان الرد عليه وبيان إعجاز القرآن الكريم، هو القول بالصرفة؛ أي إنّ الله "صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدورا عليها وغير معجوز عنها، إلا أنّ العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات".[1]بمعنى أنّ الله صرف أنظار العرب وأعجزهم عن الإتيان بما يشبه القرآن في أسلوبه وتركيبه اللغوي وهو ماذهب إليه ابراهيم النظام

يقول مصطفى صادق الرافعي "فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النظام إلى أن الاعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة".قلنا وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن".[2]وإضافة إلى الصرفة يرى النظام أن الاعجاز يكمن في الإخبار عن الأمور الماضية والآتية.

إن القول بالصرفة إذ يهمل سر جمال الخطاب القرآني وروعة بيانه، وفصاحة ألفاظه، ولذلك كان الرأي السائد لدى العلماء –في سياق الرد على مذهب الصرفة– أن القرآن لم يعجز العرب إلا لأنهم غير قادرين على الاتيان بمثله أسلوبا وبيانا،

---

[1]- الخطابي حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلق الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، (دت) ص22.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص102.

فاتجه البحث إلى دراسة النص القرآني في ذاته.[1] يقول عبد الحميد هنداوي مبينا بطلان مذهب الصرفة "فمنها أنه يلزم من القول بذلك أن الاتيان بمثل كلام الله هو في مقدور البشر واستطاعتهم لو خلي بينهم وبين معارضته لولا صرف الله تعالى لهم، وفي هذا من البطلان ما فيه من إبطال وجه من أهم وجوه إعجاز القرآن بلا داع، ومن القول بإمكان مشابهة كلام المخلوق لكلام الخالق الذي هو صفة له، كما يلزم من ذلك أيضا القول بعجزه سبحانه أن يأتي بكلام معجز، لأنه على لازم كلامهم قد عجز عن أن يكون كلامه معجزا بنفسه، فأعجز الناس قهرا عن محاولة مشابهته ومعارضته".[2]

ولهذا السبب تحركت همم العلماء للبحث في وجوه إعجاز القرآن، وكان الوجه الذي حضي باهتمام كبير هو نظمه العجيب وأسلوبه الفريد، وبالتالي فإن الكتب التي ألفت في إعجاز القرآن كان لها أثر بالغ في تطور فكرة النظم، بدليل أن البلاغيين استثمروا نظرية النظم وهم يدرسون بلاغة القرآن الكريم في أصغر صوره التركيبية إلى أعظمها.[3]

1-عمرو بن بحر بن محبوب الكنائي الملقب بالجاحظ يعد الجاحظ المعتزلي أول من استعمل مصطلح النظم يقول مصطفى صادق الرافعي "فصنف أديبنا الجاحظ المتوفي سنة 255هـ كتابه (نظم القرآن) وهو فيما ارتقى إليه بحثنا أول كتاب، أفرد لبعض القول في الاعجاز أو فيما يهيء القول فيه".[4] وهذا الكتاب مفقود لكن عنوانه يدل على محتواه والغاية التي ألف من أجلها يقول الجاحظ "ولي كتاب جمعت فيه

---

[1]- مسعود بودوخة، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2016، ص8.

[2]- الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر، ط1، 2004، ص10.

[3]- محمد بوادي، التفكير الدلالي عند البلاغيين العرب الأوائل، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، العدد20، جوان 2015، ص93.

[4]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص1074.

آيات من القرآن الكريم، لتعرف بها فضل ما بين الإيجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات".[1]

يهدف الجاحظ من خلال حديثه عن النظم إلى الرد على أستاذه النظام وأنصاره القائلين بالصرفة الذين أنكروا أن يكون القرآن معجزا بنظمه، وعلى أصحاب المعاني الذين قالوا إنّجمال الشعر يكمن في معانيه مبرزا أهمية القيم الفنية المتمثلة في جمال الصياغة والتلاؤم اللفظي والانسجام الصوتي والبديع في نظم الكلام.[2]

يحدد الجاحظ النظم في الشعر قائلا "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا جيدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري في الدهان".[3]أي إن تأليف العبارة وجودة تلاحم ألفاظها وسبكها وإخراجها في قالب واحد في تناسق وانسجام هو النظم عند الجاحظ .

فالنظم عند الجاحظ يقوم على ضم الكلمات وتخير مواقعها وليس ضم المعاني، ومن ثمة فهو من أنصار اللفظ "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والمدني، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك فإن الشعر صناعة (أو صياغة) وضرب من النسج، وجنس من التصوير".[4] إن اختيار الكلمات وجودة سبكها وتلاحمها في التركيب اللغوي هي المعايير التي حدّد بها الجاحظ النظم .

---

[1]- الجاحظ، الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، القاهرة، ط2، 1990، ص86.

[2]- أحمد أبو زيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص53.

[3]- الجاحظ، البيان والتبيين، تح وش: عبد السلام هارون، ج1، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965، ص67.

[4]- الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ج3، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر ، ط2، 1965،ص ص 132،131.

وعلى الرغم من دفاعه عن سبك الألفاظ وإعلاء شأنها فإنه لم يهمل المعنى إذ جعل اللفظ والمعنى في مقابل الجسد والروح ان اللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح.[1] فهما ثنائية لا تقبل الفصل فهل هناك بدن بدون روح وهل هناك لفظ دون معنى؟ الإجابة حتما تكون لا وبالتالي فاللفظ والمعنى ثنائية لا تقبل الفصل.

يمكن القول أن الجاحظ أول من مهد لقضية اللفظ والمعنى وأبرز معالمها على الرغم من تناول سابقيه لها حيث قام بلم شتات الجهود السابقة وأضفى عليها لمسته في إشارته إلى النظم.

2- محمد بن يزيد الواسطي 306هـ يقول الرافعي: "أول كتاب وضع لشرح الإعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، إنما هو فيما نعلم كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة 306هـ ولا نضن الواسطي بني إلا على ما ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر في (دلائل الإعجاز على الواسطي)".[2]

3- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 386هـ) هو أحد أشهر من تناول النظم والاعجاز في القرن الرابع الهجري وقد سماه التأليف في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" يقول "دلالة الأسماء والصفات متناهية، أما دلالة التأليف فليس لها نهاية، كما أن الممكن من العدد ليس له نهاية يقف عندها".[3] فبعدد نهائي من الكلمات نؤلف عددا لا نهائيا من التأليفات (نظم الجمل).والتأليف عنده مرادف للنظم

ومعنى هذا أن الإبداعية تكمن في النظم لاالألفاظ وتحدث في الرسالة السابقة عن وجوه الإعجازحيث يرى أن البلاغة ثلاث طبقات: عليا ودنيا ووسطى، وجعل الطبقة

---

[1]- محمد بن عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الدبي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1987، ص84.

[2]- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص107.

[3]- علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، (دت) ص107.

العليا هي بلاغة القرآن، والطبقة الوسطى خصصها بطبقة البلغاء والفصحاء، والطبقة الدنيا وهي دون تلك الطبقات، والأهم في هذا التقسيم هو عنايته باللفظ والمعنى، والعلاقة القائمة بينهما عند حديثه عن التلاؤم بين اللفظ والمعنى المراد به حسن النظم.[1]

إنّ النّظم عند الرماني قائم على التلاؤم ،وهو وصف استلهمه من كلام الجاحظ عندما تحدث تنافر الحروف والكلمات ومايجب أن يكون عليه النظم من تلاحم حتى يبدو وكأنه سبك سبكا واحدا [2]

4- أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: (ت 388هـ) رد في رسالته "بيان إعجاز القرآن" على القائلين بالصرفة، "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة" لفظ حامل، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، لا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه"[3]. إن فصاحة ألفاظ القرآن وحسن نظمه وتأليف تراكيبه اللغوية على نسق معين هي التي كانت وراء إعجازه وليس الصرفة كما زعم النظام .

وبالإضافة إلى الألفاظ والمعاني تحدث الخطابي عما سماه رسوم النظم عندما ما قال: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، إنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، به تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان".[4] فثقافة المتكلم ومهارته تجعلانه يتحكم في زمام الألفاظ ومعانيها بحيث يؤلف نظما تلتحم ألفاظه وتتناسق .

---

[1]- وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القادر الجرجاني، دار الفكر دمشق، ط1، 1983، ص26.

[2]شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف بمصر ،ط3،د ت ، ص 105.

[3]- الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، ص27.

[4]- المصدر نفسه، ص27.

من خلال ما سبق يتضح أنّ جميع العلماء الذين دافعوا عن أهمية الألفاظ في النظم هم من المعتزلة، وقد جاءت اقوالهم متطابقة مع عقيدتهم المقدسة للألفاظ بعد القرآن كلام الله المخلوق، وقد أعجز الله به البشر من خلال نظمه أو نسيج تراكيبه اللغوية البليغة.

5-أبو بكر الباقلاني: (ت 403هـ): يعد من أشهر من ألف في الاعجاز في القرن الخامس وهو أشعري يشترك مع عبد القاهر الجرجاني في مر>حلة التأسيس والدفاع عن الفكر الأشعري حيث قاد معركة لغوية من أجل تأسيس نظرية أشعرية في قضية البيان وإعجاز القرآن.[1] يقول عنه شوقي ضيف: "وهو من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة، وله مصنفات كثيرة ومجادلات مع علماء الروم، عنت لها جهود معاصريه، وكان لسنا بارعا في الجدل والاحتجاج، ومن البحاث التي عني بها مبحث الإعجاز في القرآن".[2]

يرى الباقلاني أن الاعجاز في القرآن الكريم يكمن في نظمه الذي يخالف ما هو شائع في كلام العرب: "فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه ... وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف... وليس الإعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي (صلى الله عليه وسلم)، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود، وليس لها نظم سواها".[3]

فرصف الكلمات والتأليف بينها وترتيبها على نسق معين هو النظم، يقول الباقلاني في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَاب ولا الإِيمَان وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى

[1]- أحمد أبوزيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، ص84.

[2]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص107 وإعجاز القرآن، ص84.

[3]- الباقلاني، إعجاز القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1973، ص112.

صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاط اللهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُالأُمُور"[الشورى: 52، 53]"فانظر إن شئت إلى شريف هذا النظم، وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف، كل كلمة في هذه الآية تامّة، وكل لفظ بديع واقع".[1]

وهو متأثر بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أنّ الإعجاز في القرآن يعود إلى نظمه وأسلوبه العجيب الذي يخالف أساليب العرب في الشعر والنثر وما تتضمنه من أسجاع، كما تأثر بفكرة الرماني عندما جعل القرآن وحده في الطبقة العليا.[2]

وحتى المعاني والكلمات المتباعدة تكون مؤتلفة بفعل النظم "وكما قال الباقلاني في أية القصص: "وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللهُ الدّار الآخِرَة وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَالله إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَاد فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِين"[القصص: 77] قالهي خمس كلمات متباعدة في المواقع، نائية المطارح قد جعلها النظم البديع أشد تألقا من الشيء المؤتلف الأصل، وأحسن توافقا من المتطابق في أول الوضع".[3]

يفهم من هذه القوال أن الباقلاني يميل في تبيان إعجاز بلاغة النظم القرآني إلى اللفظ؛ بتخير الألفاظ المؤتلفة المرتبة على نسق محكم بصياغتها وروعة تأليفها وجدير بالإشارة في هذا السياق أن الباقلاني في دراسته للإعجاز القرآني نحى منحى يختلف عن سابقيه يقول محمد محمد أبو موسى "والذي أغراني بالقول بأن الباقلاني يضع لبنات أساسية لدراسة الاعجاز البلاغي ويراها بديلة لبلاغة البديع التي قال بها من سبقوه ومن عاشوا معه كالرماني هو تعليقه على قوله تعالى في سورة الأنعام "فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم"[الأنعام: 96]قال انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألف بينها واحتج بها

---

[1]- المصدر السابق، ص187.

[2]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ص108، 109.

[3]- محمد محمد أو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص256.

على ظهور قدرته، ونفاذ أمره، أليس كل كلمة منها في نفسها غرة؟ وبمنفردها درة؟ ... ويجمع السلاسة إلى الرصانة، والسلامة إلى المتانة ... ولست أوقل إنه شمل الأطباق المليح، والايجاز اللطيف، والتعديل والتمثيل ... وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن العجيب ما بينا من انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة، أو خطبة، أو وجه قصيدة، أوفقرة، فإذا ألفت ازدادت به حسنا وإحسانا، وزادتك إذا تأملت معرفة وإيمانا".[1]

إن الباقلاني لايختلف عن ماسبقوه في تفسير النظم ، فهو يعلي من شأن الألفاظ ويجعل إئتلافها كفيل بجعل الكلام يتصف بالنظم .

6-القاضي عبد الجبار الأسد أباذي (ت 410هـ)هو قاضي قضاة الدولة البويهية بإيران، وأكبر أعلام المعتزلة في عصره له مصنفات كثير أشهرها كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل"، وقد خصص الجزء السادس عشر لبحث مسألة الاعجاز القرآني ودلالة القرآن على نبوة الرسول وأنّ مرتبته الرفيعة في البلاغة تخرجه عن العادة كما جعل فصلين قصيرين لموضوع البلاغة أولهما عرض فيه رأي أستاذه أبي هاشم الجبائي في الفصاحة وعقب عليه، وعرض في الثاني رأيه الخاص في فصاحة الكلام".[2]

بالنسبة للتعقيب على أبي هاشم الجبائي الذي اعتبر الفصاحة في اللفظ، قال شيخنا أبو هاشم: "إنما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه، ولابد من اعتبار الأمرين".[3]فإن عبد الجبار أحسّ أن في فكرة أستاذه نقصا لأنه أغفل صورة تركيب الكلام وهي أساسية في بلاغة العبارة[4]يقول "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في

---

[1]- المرجع السابق، ص ص257، 258.

[2]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ص 114، 115.

[3]- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د ت ، ص197.

[4]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص116.

أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع ... ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر والمعنى متفق ... على أنّا نعلم أنّ المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عنده الألفاظ التي يعبر بها عنها. فإذا صحت هذه الجملة فالذي تظهر به المزية ليس إلا الإبدال (الاختيار) الذي به تختص الكلمات أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع أو الحركات التي تختص الإعراب فبذلك تقع المبيانة (بين الكلام)".[1]

وعلى ضوء هذا القول فالفصاحة يحددها طريقة نظم الألفاظفي تركيب معين بدليل أن الألفاظ تكون فصيحة و تفقد فصاحتها في تعبير آخر، ولا تحددها الألفاظ المفردة المعزولة عن سياق استعمالها أو المعاني. وبعبارة أخرى فالفصاحة تتجلى في النظم وقد سماه الضم على طريقة مخصوصة لأنها تمثل الأسلوب البليغ أو طريقة أداء التعبير التي تقوم على اختيار مواقع الكلمات ومراعاة ترتيبها ومختلف التراكيب النحوية التي يجب معرفتها واتباعها.

فالنّظم إذا هو الذي يعلي شأن الكلمة ودونه تبقى الكلمة لا قيمة لها "ولا يمتنع في اللفظة الواحدة أن تكون إذا استعملت في غيره ... وهذا يبين أن المعتبر في المزية ليس بنية اللفظ وأنّ المعتبر فيها ما ذكرناه من الوجوه"[2]المتعلقة بالتركيب لأنّ ما قبل الكلمة وما بعدها يؤثران في فصاحتها وإظهار قيمتها "العبرة بمكان الكلمة من النظم وارتباطها بما يجاورها من الكلمات"[3] .

وبناء على هذه الأهمية فإنّ النّظم (الضم) هو المجال الذي تتحدد به مراتب الإبداع وتتفاوت فيه القدرات الفنية يقول عبد الجبار: "إن جملة الكلمات وإن كانت

---

[1]- القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل،ج16، ص 199.

[2]- المصدر نفسه، ج16، ص199.

[3]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص119.

محصورة، فتأليفها يقع على طرائق مختلفة، فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة، وما هذا حاله فالتحدي فيه، لأن فيه مقادير معتادة تصبح فيها زيادات في الرتب غير معتادة".[1] فرغم قلة الألفاظ ومحدوديتها إلا أن النظم يوفر إمكانية تأليف تعابير كثيرة غير محدودة مختلفة في طرائق صياغتها ومراتبها.

يمكن القول أن القاضي عبد الجبار دافع عن فصاحة اللفظة في ضوء ضمها ونظمها مع كلمات أخرى من خلال موقعها وطريقة أداء الكلام وما تتضمنه من علاقات نحوية وتراكيب لغوية وهي القضايا التي مهّدتالسبيل لعبد القاهر الجرجاني الذي فصل، الحديث عنها وهو يؤسس نظرية النظم في دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة.

[1]- القاضي عبد الجبار، المغني في التوحيد والعدل، ج16 ،ص 199.

المحاضرة الرابعة :

نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني

المحاضرة الرابعة :نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني:

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصّة :

1-أن يعرف أسس ومفاهيم نظرية النّظم عند القاهر الجرجاني .

2- أن يعرف الإضافات التي قدمها الجرجاني في تأسيس النّظرية .

قلنا سابقا أن الجاحظ هو أول من وضع مصطلح النظم عندما علل به إعجاز القرآن الكريم وتمسك به الأشاعرة، وراح المعتزلة منذ أبي هاشم الجبائي يضعون مكانه مصطلح الفصاحة التي ردوها إلى حسن اللفظ والمعنى وفسر القاضي عبد الجبار فصاحة القرآن بأنها تقود إلى الأداء والصياغة النحوية للتعبير (بضم الكلمات إلى بعضها).

وكان ذلك شعاعا مضيئا ألهم عبد القاهر الجرجاني تفسيره للنظم مستمدا من عبد الجبار دون أن يشير إلى ذلك، الأمر الذي يجعل القارىء يعتقد أن عبد القاهر هو أول من قال أنّ الإعجاز في القرآن يعود إلى تراكيب الكلام وصياغته وخصائصه التعبيرية.[1] وبعبارة أخرى الإعجاز يكمن في النظم.

إنّ النّظم في جوهره هو النحو في أحكامه، لأن الناظم يراعي أثناء كلامه قوانين النحو وقواعده المختلفة، كالتقديم والتأخير، والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، ومعرفته لهذه القواعد وعدم الإخلال بها شرط أساسي لصحة النظم يقول عبد القاهر: "اعلم أنّ ليس النّظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ

[1]- شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص161.

الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه".[1]

ويؤكد أن النظم هو النحو عندما يقول: "إذا كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم، ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي ..... النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم".[2]

وعلى هذا الأساس فالمعايير النّحوية هي التي تفصل بين النظم الصحيح والفاسد منه " هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الإسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد أُصيب به موضعه ووضع في حقه " [3] . وكل تفاضل في قواعد النحو يجعل النظم أفضل بلاغة وجمالا " فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه "[4]

ومن الأمثلة التي ذكر الجرجاني أن فساد النظم فيها يعود إلى عدم توخي معاني النحو قول الفرزدق[من ...]

وما مثله في النّاس إلا مملكا أبو أمه حيّ أبوه يقاربه

يقول محمد محمد أبو موسى مُعلّقا على رداءة النظم في هذا البيت: "الفرزدق هنا أقام البيت على صورة لم يصر على تشكيلها التشكيل الكلي الذي يحسن ترتيبها وتنسيقها وإنّما رمى بها وهي أشكال معان جزئية، وأنت محتاج إلى أن تعيد نظامها

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1991، ص94.

[2]- المصدر نفسه ، ص95.

[3] المصدر نفسه ، ص 95 .

[4] المصدر نفسه ، ص 95.

كما تعيد نظام الحروف المتقطعة أو كما تجمع أجزاء متناثرة من صورة تريد أن تضبط تمامها، وكمالها وجمالها، لا بد لك أن تنقل كلمة (حي) وتضعها بإزاء كلمة (الناس)، ثم تنقل (يقاربه) بإزاء (حي)، فيكون الكلام وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه".[1]

ومثل لصحة النظم واستقامته بسبب توخي معاني النحو بأبيات للبحتري

هو المرء أبدت له الحادثا ت عزما وشيكا ورأيا صليبا

تنقل في خلقي سودد سماحا مرجى وبأسا مهيبا

فكالسيف إن جئته صارحا وكالبحر إن جئته مستثنيا

وحسن النّظم في هذه الأبيات يعود إلى قواعد النحو التي اتبعهاالشاعر وأهمها التقديم والتأخير في قوله (هو المرء أبدت له الحادثات) فلو قال مثلا: "المرء أبدت، أو أبدت الحادثات للمرء لكان النظم رديئا، كما أن تنكير كلمة (سودد) وإضافة الخلقين لها أسهما في حسن النظم".[2]

ويستدل على أهمية النحو عندما يبين أن جمال الصورة البيانية وروعتها يعود إلى التركيب النحوي قائلا: "الاستعارة والكناية والتمثيل، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم، وعنها يحدث وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم، وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره".[3]

مستشهدا بالآية الكريمة "**واشتعل الرأس شيبا**"[مريم:4]والتي يعتقد الناس أن الشرف فيها يكمن في الاستعارة والحقيقة ليست كذلك لأننا لو قلبنا العبارة لتصبح (

---

[1]- محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص ص 137، 138 .

[2]- محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص 142.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص ص356، 357.

واشتعل شيب الرأس) لذهب ما فيها من روعة، مع أن الاستعارة لم تزل قائمة، فلم يبق إذا إلا أن تكون الروعة تكمن في العبارة من خلال اسناد فعل الاشتعال إلى الرأس، والمجيء بالشيب الذي له الفعل منصوبا، علما أن هذا التعبير يشحنها بدلالات لم تكن ممكنة. فإسناد الاشتعال إلى الرأس يفيد بالإضافة إلى لمعان الشيب في الرأس الشمول والشيوع، ومن حسن النظم تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضاءة، ول صرح بالإضافة فقيل واشتعل رأسي لذهب كثير من حسنها.[1]

إنّ نظرية النّظم عند الجرجاني تقوم على التركيب النحوي(La syntaxe) في الكلام العادي او الفني البليغ، لذلك ما لبث يصرح باستحالة الاستغناء عن قواعد النحو في تأليف الكلام "... ذاك لأننا قد علمنا علم ضرورة أنا لو بقينا الدهر الأطول نصعد ونصوب، ونبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو، طلبنا ممتنعا".[2]

و لأهمية النحو راح الجرجاني يدافع عن النحو ويدعوالناس إلى تعلمه وتعظيم شأنه "وأمّازدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك ... أشبه بأن يكون صدا عن كتاب لله وعن معرفة معانيه".[3]

1-أسس نظرية النّظم:

نعني بأسس نظرية النظم أو أركانه أسس نظم الكلام، وبمعنى آخر : المراحل التي تمر بها عملية إنتاج الكلام والتي لا يمكن للكائن البشري الاستغناء عنها في صناعة الكلام وإنتاجه.

---

[1]- المصدر السابق، ص ص108-109.

[2]- المصدر نفسه، ص356.

[3]- المصدر نفسه، ص43.

1-1- ترتيب المعاني في النفس:

تحدث عبد القاهر عن ترتيب المعاني في النفس كثيرا، وعده عنصرا أساسيا في عملية النظم، إذ يرى أنّ المتكلم إذا فرغ من نظم المعاني في النفس أولا فإن الألفاظ تترتب في النطق ثانيا يقول في دلائل الاعجاز "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجري بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن".[1]

إنّ القول بترتيب المعاني قبل الألفاظ جاء ردا على المعتزلة وعلى رأسهم الجاحظ وعبد الجبار القائلين بأنّ النظم هو نظم الألفاظ "ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوها. لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم، أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر".[2]

وأشار إلى الترتيب نفسه في أسرار البلاغة عندما قال "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب".[3] ثم "ذكر أن هذا الترتيب والتركيب إنما وقع في الألفاظ على وفق المعاني المرتبة في النفس والمنتظمة فيها على قضية العقل، ومعنى هذا أن النسق اللفظي هو صورة لنسق وراءه عقل انتظمه وأن بناء الكلام هو بناء فكر، وعقل وأن ناطقية الانسان هي عقله وليست لسانه، وما دام هذا هو جوهر الكلام فيجب أن تقرأه من

---

[1]- المصدر السابق، ص68.

[2]- المصدر نفسه، ص96.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبد والشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 60.

الجهة التي يقرأ منها وأن تتحسس فيه حركة العقل ونسق العقل، وأن ترى به، وفيه صفحة النفس التي صاغته لأن النسق اللفظي جسم صوت يجب أن تتجاوزه بعد إحكامه إلى ما وراءه من نسق فكري، وأن كل شيء في اللغة وراءه شيء في العقل، والنفس، حتى النغمة، والتوقيعة الصوتية، هي جرس نفس ولحن عقل وفكر، لا يجوز أبدا أن نتعامل مع الكلام شعرا أو بيانا على أنه شقشقة لسان لأن هذا إهذار لحقيقته، ولا بد من أن نتعدى اللفظ والجرس إلى ما يناجي فيه العقل النفس".[1]

يوضح محمد أبو موسى ترتيب المعاني النحوية في النفس أو العقل ثم ترتيب الألفاظ على النسق النحوي ويمثل لذلك قائلا: "... وهي أننا عندالتحقيق لا نرى صحة ما يقال من وجوب تقديم بعض الألفاظ على بعض كقولنا إن الخبر واجب التقديم في مواضع كذا وأنّ المفعول واجب التقديم في مواضع كذا، وأن الصفة يجب أن تتقدم على الموصوف، وأنّ الاستفهام له الصدارة، لأن ليس هناك حكم من هذه الأحكام يتعلق بلفظ من حيث هو لفظ، لأنّ الألفاظ في ذاتها ليس فيها ما يوجب تقديمها، أو تأخيرها، أو حذفها أو ذكرها، وإنّما كل ذلك راجع إلى مقتضيات عقلية، أوجبت ترتيب المعاني في النفس، وانتضمت على قضية العقل، فما وجب تقديمه في العقل قدم في اللفظ، وما وجب تأخيره في العقل آخر في اللفظ، فالاقتضاءات العقلية هي الفصل وهي القانون وهي القاعدة".[2]

إذا المعاني المرتبة في النفس ليست المعنى الذي هو قسيم اللفظ، ولا المعنى القاموسي، أو الدلالي الذي يشمل عليه اللفظ، وإنما هو المعادل الذهني للمعاني النحوية[3] يقول أحمد حسن صبرة "ولا يقصد عبد القاهر من المعاني العامة العامة للكلام، أو المعاني العجمية لألفاظ اللغة، وإنما يعني المعنى النحوي الذي يكتسبه

---

[1]- محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص ص 61 ،62.

[2]- المرجع السابق، ص65.

[3]- أحمد أبوزيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، ص97.

اللفظ في السياق والعلاقات الناشئة بين الكلمات في السياق (التأليف)"[1]. علما أن المعاني النحوية ليست المعنى الخام، وإنما المعنى الخاص المصور الذي تشكل في النفس ونظم فيها نظما خاصا[2] والذي يوفر للمتكلم إمكانية التمييز في أسلوب تعبيره والاختلاف عن غيره في طريقة نظم الكلام.

1-2- التّعلق النّحوي:

يرى محمد أحمد نحلة أن التعلق النحوي هو الأساس الثاني الذي تقوم عليه نظرية النظم حيث "قادته فكرة ترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النفس إلى فكرة أخرى، تعد فيما نرى الركن الثاني من أركان نظريته، وهي فكرة التعلق النحوي".[3] القائم على وضع الكلمات بجواز بعضها وفق علاقات نحوية يقول عبد القاهر: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، وتجعل هذا بسبب من تلك، هذا ما لا يجعله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس".[4] إن المعاني المرتبة في النفس يعضدها التعالق النحوي، وبدونه لا نظم ولا ترتيب للمعاني يحصلان .

يشرح الجرجاني التعلق النحوي قائلا "وإذا نظرنا في ذلك علمنا ان لا محصول لها غير أنت تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعول، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا، أو استفهاما أو تمنيا، فتدخل عليه هذه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين

---

[1]- أحمد حسن صبرة، التفكير الاستعاري، مكتبة الوادي، بدمنهور، ط2، 2002، ص104.

[2]- درويش الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم، مكتبة نهضة، مصر القاهرة، 1960، ص74.

[3]- محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، دائرة العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص28.

[4]- دلائل الاعجاز، ص69.

أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس".[1]مقسما إياه إلى ثلاثة أقسام

1. تعلّق اسم باسم بأن يكون خبرا أو حالا أو صفة أو بدلا أو تمييزا أو مضافا.

2. تعلّق اسم بفعل كأن يكون فاعلا أو مفعولا بأنواعه أو خبرا لكان أو حالا أو تمييزا.

3. تعلّق الحرف بهما

ويتضح من هذا التقسيم استحالة تعلق فعل مع فعل أو حرف مع آخر.

إنّ التّعلق بين الكلمات بضمها إلى بعضها هو العملية الاسنادية للمعاني النحوية المرتبة في النفس وهو شرط ضروري لحصول النظم . ومن هنا كانت الكلمات المفردة دون إسنادها نحويا إلى غيرها خارج دائرة النظم " فلا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل أن يتفكر مفكر في معنى (فعل) من غير أن يريد إعماله في (اسم) ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمال (فعل) فيه وجعله فاعلا أو مفعولا، أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا، أو ما شاكل ذلك".[2]

ويجب الإشارة في هذا السياق إلى أنّ التّعلق عند الجرجاني له مستويات: مستوى يقف عند الصواب ومستوى يرقى إلى بلاغة الخطاب "فإذا قلت أفليس هو كلاما قد أطرد على الصواب وسلم من العيب"؟

---

[1]- المصدر السابق، ص ص69-70.

[2]- المصدر نفسه، ص12.

أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل أما الصواب كما ترى فلا لأنا لسنا في ذكر تقويم اللسان، والتحرر من اللحن، وزيغ الاعراب فنعتد بمثل هذا الصواب، وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيف، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، فليس درك صوب دركا فيما نحن فيه حتى يشرف موضعه، ويصعب الوصول إليه، وكذلك لا يكون ترك خطأ تركا حتى يحتاج في التحفظ منه إلى لطف نظر وفضل رؤية وقوة ذهن وشدة تيقظ".[1]

ويعلق عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي عن هذين المستويين قائلا: "والحقيقة أن عبد القاهر يفرق في كلامه بين نوعين من الصواب في الكلام والمعاني، الأول ما يمكن أن نصطلح على تشميته بالصواب النمطي أو الصواب النحوي، وبالتالي هو ما حقق ذلك الصواب وزاد عليه بحسن الصياغة، وهذا الثاني هو الجدير بأن يستدرك في نظر الجرجاني وفي نظر البلاغيين قاطبة كذلك".[2]

وعليه فالمستوى الثاني هو المستوى الفني البلاغي الراقي وما يقع فيه من عدول أو مجاز ويتم ضبطه وفق قواعد النحو.

1-3- تخيّر الموقع:

يقررّ عبد القاهر أنّ اللفظة المفردة لا فصاحة لها ولا مزية حتى تضم إلى أخواتها في تأليف دقيق وعلى نحو مخصوص، ولأن التعلق ركن أساسي في نظرية النظم، فإنّه يجب أن يُراعى موقع الكلمة من بين أخواتها؛ أي لكل مكان لفظه المناسب، بحيث لو حول ذلك اللفظ من مكانه، أو أُزيل عنه اختّل النسق اللغوي وذهب رونق النظم وجماله "وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلم إخبارا وأمرا

---

[1]- المصدر السابق، ص106.

[2]- أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية ، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، 2002، ص ص71 ،72.

ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إليها إلا بضم كلمة إلى كلمة ... وهل يقع في وهم أحدهم –وإن جهد– أن تتفاضل المفردات من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية؟ ...وهل تجد أنّ أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤانسته لأخواتها".[1]

إنّ الكلمة المفردة لا قيمة لها، ولا يمكن إدراك جمالها وفصاحتها إلا من خلال موقعها في النسق التركيبي وتناسق معناها ليتلاءم مع معاني ما يسبقها وما يأتي بعدها من كلمات "قد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[2] لأن موقعها ومعناها لا يناسبان غيرها من الكلمات.

والدليل على صحة هذه الفكرة أنّك تجد الرجلين يستعملان نفس الكلمة، فترى أحدهما قد أحسن اختيار الموقع وحسن النسق فبلغ سماء الفصاحة، في حين أن الآخر وصل إلى الحضيض " فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استعملا كَلما بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماء، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة حسنت، حسنت من حيث هي لفظ، واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما تُحسن أبدا أو لا تُحسن

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص58.

[2]- المصدر نفسه، ص 60.

أبدا، ولم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر، وكيف يورد ويصدر كهذا القول".[1]

ويضرب مثالا لأهمية تخير الموقع قائلا: "ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظة الأخدع في بيت الحماسة.[2]

تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت الإصغاء ليتا وأخدعا

وبيت البحتري

وإني وإن بلغتني شرف الغنى واعتقت من رق المطامع أخدعى

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم أنك تتأملها في بيت أبي تمام:

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

فتجد لها من الثقل على النفس، والتنغيص، والتنكير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والايناس والبهجة".[3]

يتضح أنّ معيار اختيار موقع الكلمة في النظم يقوم على ملاءمة معناها لمعاني الكلمات الأخرى حتى يصل النسق اللغوي التركيبي درجة عالية من البلاغة.**1-4- معاني النحو:**

تحدث عنه صالح بلعيد ضمن الأركان العامة لنظرية النظم[4] وذكره محمود أحمد نحلة فقال "وهو الركن الرابع والأخير من أركان نظرية النظم عند عبد القاهر

---

[1]- المصدر السابق، ص61.

[2]- البيت للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحارث بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير إبن قشير بن كعب

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص60.

[4]- صالح بلعيد، نظرية النظم، ص143.

الجرجاني، وقد عني عبد القاهر بهذا الركن عناية بالغة لأنه ثمرة النظم ومحصوله".[1] وسمته .... حميد البياتي الوجوه والفروق وجعلته الركن الرابع من أركان هذه النظرية.

يشرح الجرجاني الوجوه النحوية وفروقها التي يجب على الناظم معرفتها لأنها توفر له إمكانية توظيفها في بنية النظم بوصفه تمثيلا للأنساق النحوية والمعاني النحوية "وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج... فلا ترى كلاما قد وصف بصفة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل نية إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه".[2]

يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن حسن النظم آت من جودة التصرف في قواعد النحو، وأنّ رداءته بسبب سوء التصرف فيه "وإن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أي كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، فقل في (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) (من نبك قفا حبيب ذكرى منزل) ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟ واعلم أني لست أقول: إن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلا، ولكني أقول: إنه لا يتلق بها مجردة من معاني النحو، ومنطوقا بها على وجه لا يتأتي معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها، كالذي أريتك".[3]

يمكن القول من خلال هذه الأسس أن نظرية النظم الجرجانية نحوية بامتياز تقوم على المقدرة (الكفاءة) النحوية التي يجب أن يمتلكها المتكلم ليس من أجل

---

[1]- محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، ص32.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ص 94 ،95.

[3]- المصدر نفسه، تحقيق محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، 1961، ص ص 266 ،267 .

استقامة النظم العادي وصحته بل في تفاضل الأنساق اللغوية وتفاوت حسنها وبلاغتها ، ولذلك كان اهتمام الجرجاني منصبا على النحو النسقي الذي يعالج تركيب الجملة بدلا من الحركة الإعرابية على آخر الكلمة .

المحاضرة الخامسة :

نسبة نظرية النّظم إلى عبد القاهر الجرجاني

المحاضرة الخامسة: نسبة نظرية النّظم إلى عبد القاهر الجرجاني

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف الطالب الآراء التي تؤكد أن نظرية النّظم من إبداع الجرجاني

إنّ الحديث عن نسبة نظرية النّظم لعبد القاهر الجرجاني يقتضي البحث عن نسبة كتاب دلائل الإعجاز له، لأن مضمون النظرية وأسسها متجليات في الدلائل. أقول هذا الكلام لأن الكتب القديمة المصنفة ضمن المصادر كلها خضعت للتحقيق في إطار تحقيق المخطوطات بإثبات الكتاب وصحةعنوانه ونسبه إلى صاحبه، ومن هنا فإن إثبات نظرية النظم ونسبها للجرجاني أمر لا بد منه في هذا السياق، من خلال عرض بعض آراء الدراسين وأقوالهم التي تثبت أن النظرية من إبداع عبد القاهر.

تواترت أقوال العلماء في أنّ كتاب دلائل الاعجاز هو للإمام عبد القاهر الجرجاني، وقد صحح متنه إمامان من أئمة اللغة وآدابها وهما الشيخ محمد عبده الذي استحضر نسخة من المدينة المنورة وأخرى من بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وعلق عليه الامام الشيخ محمد رشيد رضا، .... "وذكرت ثمة أنني لما هاجرت إلى مصر لإنشاء مجلة المنار الإسلامي في سنة 1315، وجدت الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية إحياء العلوم العربية، ومفتي الديار المصرية، مشتغلا بتصحيح الكتاب ... وأريد الآن: أنه قد عني بتصحيحه أتم عناية وأشرك معه فيها إمام اللغة وآدابها في هذا العصر (الشيخ

محمد محمود التركزي الشنقيطي)، وناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح أصله علامتا المعقول المنقول".[1]

ذكر زكي مبارك في ترجمته لأبي الحسن الجرجاني أنه كان شيخا لعبد القاهر الجرجاني قائلا: "ويكفي في تقدير فضله أن تشير إلى أنّ أستاذ عبد القاهر الجرجاني صاحب أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز"[2] ثم علّق في الحاشية على هذا الكلام هكذا يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ص249 ولكنه يقول في ص 3، ج7: إن عبد القاهر ليس له أستاذ سوى محمد بن الحسين ابن أبي علي الفارسي وكذلك قال في بغية الوعاة".[3]

ويرى عبد العزيز عتيق أنّه عندما ظهر اللحن والخطأ في الإعراب، وضع أهل الاختصاص قوانين النحو، ومما وقع اللحن في الأساليب والتعابير وضع المختصون قوانين البيان والمعاني وذلك مما أشفق منه عبد القاهر على اللغة فعكف على تأليف "دلائل الإعجاز" و "أسرار البلاغة" اللذين دون فيهما علم البلاغة ووضع قوانين البيان والمعاني، كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الإعراب[4].

ويؤكد على أبو زقية أن نظرية النظم من إنتاج الجرجاني "إنه بالتأكيد لم يتناول في كتابه هذا –كما قد يتصور– أدلة الإعجاز الكلامية والمنطقية، التي كان من شأن المتكلمين والمناطقة أن يتناولها، ولكنه عنى بإعجاز القرآن من زاوية تخصصه

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، صحح أصله الإمام محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، علق عليه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1994، ص2.

[2]- زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، المكتبية العصرية، صيدا، بيروت، دت، ج2، ص7.

[3]- المرجع نفسه، ج2، ص7.

[4]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص22.

اللساني والأسلوبي، فأوضح لنا أن إتقان تأليف جمل الكلام وتراكيبه والتفنن في نظمها وحسن صياغتها، هو طريق البلاغة والاعجاز".[1]

ويرى مؤلفو الأسلوبية والبيان العربي أنّ دلائل الإعجاز خصصه صاحبه للحديث عن النظم من أوله إلى آخره تنظيرا وتطبيقا "ومن ثم جعل الكتاب من أوله إلى آخره خاصا بقضية النظم، وبالتطبيق النقدي عليها، لأنّ معرفة هذه القضية مقدمة لمعرفة أسرار الإعجاز فيه".[2]

ويصرح سيد قطب أنّ الجرجاني أول من قام بتأسيس نظرية النظم وأدخلها في حقل النظريات اللغوية، وأنه أول ناقد عربي قرر نظرية النظم "قد وصل في كتابه الأول إلى تقرير نظرية هو أول من قررها في تاريخ النقد العربي ويصح أن نسميها نظرية النظم وخلاصتها أن ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة، وأن اللفظ لا مزية له في ذاته، وإنما مزيته في تناسق معناه مع معنى اللفظ الذي يجاوره في النظم".[3]

والتصريح ذاته من محمد عبد المطلب يؤكد صحة نسبة نظرية النظم للجرجاني "لقد انتهى عبد القاهر من خلال عرضه لنظريته إلى أن ركز مناط الجودة في الكلام للصورة التي يرسمها النظم، بما يقوم عليه من معاني النحو المتخيرة، والصورة التي تشكلت في نفس المتكلم بأصباغ العلاقات بين معاني الكلام التي رتبت في النفس ترتيبا خاضعا لهذه العلاقات".[4]

وعليه فنظرية النظم لصاحبها الجرجاني دون شك ، إلا ان هذا الأخير استثمر جهود سابقيه التي كانت تحوم حول النظم دون أن تسميه بهذا المصطلح ، وهي ىراء

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، مقدمة الكتاب .

[2]- محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992، ص87.

[3]- سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الطبعة الشرعية السادسة ، 1990، ص126.

[4]- محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية للنشر لونجمان ، ط1، 1994، ص 64.

متفرقة تفتقر إلى التنظير، فانطلق منها وتعمق فيها واضاف لمسته العلمية عليها معلنا ميلاد نظرية إسمها نظرية النظم التي فرضت نفسها في حقل الدراسات النقدية واللسانية . ومن ثمة يمكن القول أن الجرجاني أخذ من سايقيه وأثرى النظرية من خلال قدرته على التنظير والتطبيق على أبيات من الشعر وبيات من القرآن الكريم .

المحاضرة السادسة :

الآراء المنكرة للنسبة

المحاضرة السادسة : الآراء المنكرة للنسبة

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف الطالب بعض الآراء التي تنكر نسبة النظرية إلى عبد القاهر الجرجاني

- أن يعرف أن الجرجاني أخذ مفاهيم النظرية من سابقيه

لا يختلف اثنان أنّ نظرية النظم تنسب لصاحبها عبد القاهر الجرجاني، ولم نسمع يوما ولم نقرأ في كتاب نسبتها إلى غيره، والدارسون جلهم متفقون أنّ النّظم ظهر قبل الجرجاني، وأنّ الأخير استفاد من جهود غيره من العلماء في بناء نظرية نسقية عربية لها أسسها ومبادؤها، ومعنى هذا أنّهم ينكرون أن تكون النظرية إبداعا خالصا من الجرجاني، وأنّه في حقيقة الأمر قام بإثرائها من خلال التمكن من التنظير لها وتطبيقها على اللغة العربية.

يقول رياض هلال "استقر بين العلماء والأدباء ليس ابن خلدون، بل الامام عبد القاهر الجرجاني هو مؤسس البلاغة العربية، وأول من أقام عمدها ... وسن لها رسوما وقوانين تعرج عليها"[1]. ويقول السيد يحي بن حمزة الحسيني "وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتب أفانيه، الشيخ العالم علم المحققين عبد القاهر الجرجاني".[2]

ويرد عليهم محمد عبد المنعم خفاجي نافيا أن يكون عبد القاهر هو مبتكر نظرية النظم ومؤسسها الحقيقي قائلا: "ولكنا نسائلهم هل ابتكر عبد القاهر كل هذه المباحث ابتكارا، وارتجالا فهو ابن بجدتها وأبو عذرها؟" وإنا لنعفيهم من الإجابة فنقول إن عبد القاهر وجد لمن سبقه من العلماء والأدباء بحوثا وآراء في البيان

---

[1]- عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992، ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص33.

العربي متفرقات في أثناء ككتب النقد والأدب، فعمد إليها ولمّ شملها وجمع شتاتها، وضم الإلف إلى أليفه، والنسيب إلى نسيبه، فكان له من كل ذلك مجموعة ضمّنها كتابيه: أسرار البلاغة، ودلائل الإعجاز، وهو تارة يقر بالفضل لأربابه فيصرح بأسمائهم، وتارة يغفلهم ويضرب عنهم صفحا، فيضن بعض الناس أن المبحث من بنات أفكاره وكد ذهنه وعرق جبينه، ولو عملوا لرجعوا كل شيء إلى أربابه، وأقروا الأمر في نصابه"[1]. والدليل على ذلك أنه كثيرا ما اعترف بفضل سيبويه والجاحظ عليه، ولم يشر إلى تأثره بالقاضي عبد الجبار رغم أنّ الكثير من مفاهيم النظم – ويسميه الضم– قد تناولها.

فقد نقل الجرجاني عن سيبويه سحر بلاغة التقديم والتأخير وبعضا من شواهد الحذف، واستدل بكلامه على أنّ "إنما" تأتي لخبر لا يجهله المخاطب. ونقل عن ابن قتيبة كلمة دون أن يشير إليه عندما قال أن الشعر ما حسن لفظه ومعناه، ومنه ما حسن لفظه فقط، أو معناه فقط وهي في مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة، ويتجلى روح الجاحظ في اعتبار فضيلة الكلام لنظمه لا لفظه وأنّ السّجع ما طلبه المعنى دون تكلف، وأن الكلام ما كان معناه أسرع إلى قلبك، كما أن الكثير من شواهد عبد القاهر ماخوذة من البيان والتبيين.[2] يقول محمد محمد أبو موسى: أشير إلى الصلة القوية بين علم عبد القاهر بكتاب سيبويه، ولم أعرف أحدا حلل تراث الجاحظ البلاغي كما حلله عبد القاهر، وكان في كثير من كتابيه كأنه يعمد عمدا إلى شرح كلام الجاحظ، وأهم من هذا وأكثر إثارة أنه كان يشرح الجاحظ مستظيئا بعلم الخليل وسيبويه، وهذا أمر غريب ولم يتكرر، ولم ينبه إليه أحد، وهو ظاهر كفلق الصبح"[3].

وإذا جئنا إلى القاضي عبد الجبار فإن نظريته في تفسير الفصاحة سماها الضم، وقد رد الفصاحة إلى حسن تنسيق الكلمات في التركيب، وهي تظهر في الكلام بالضم

---

[1]- المرجع السابق، ص ص33–34.

[2]- المرجع نفسه، ص ص98–99.

[3]- محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص....

على طريقة مخصوصة ولا بد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة قد تكون بالمواضعة ويقصد به اختيار الكلمة من بنية معينة ومادة لغوية معينة فاختيار صيغ المبالغة غير اختيار اسم الفاعل في تحديد حجم الحدث، واختيار الماضي غير المضارع أو الأمر في الزمن والمعنى، وقد تكون بالإعراب وهو عند عبد الجبار أعمق من مجرد الرفع والنصب والجر؛ إنه الوظائف النحوية للكلمات كالفاعلية والمفعولية والحالية والظرفية، وقد تكون بالموقعية من خلال التقديم والتأخير أي إنّ، الكلمة لا مزية لها ولا فصاحة إلا في التركيب وهذا ما أشار إليه الجرجاني.[1] وعليه فهو لم يكتشف النظم وإنما طوره بناء على جهود غيره وجعله يرتقي إلى مستوى النظرية إن الإضافات التي قدمها لا ينكرها أحد، يقول محمد عبد المنعم خفاجي "ولسنا ننكر أن عبد القاهر قد ابتكر في البيان العربي وارتجل في أبحاثه، كما لا نجحد أنه فصل بعض ما أجمله العلماء قبله، وشرح بعض ما قالوه، ونوع الأمثلة وأتى بأمداد من الشعر والنثر متوافرة، ولكنا ننكر أن يكون هو مؤسس فن البلاغة برغم ما يقوله صاحب الطراز، وعبد القاهر نفسه بأنه أفاد ممن تقدمه ممن كتبوا في البلاغة والفصاحة"[2]. ويذهب بدوي طبانة أن عبد القاهر لم يخترع النظم، وإنما بسط النظرية، إذ سبقه الواسطي المتكلم صاحب كتاب إعجاز القرآن، وظهرت بوضوح في الصراع الذي أثاره امتزاج الثقافات إذ تعصب الذين دافعوا عن الفلسفة اليونانية والذين انتسبوا للعربية دفاعا عن تراثهم وثقافتهم النحوية، ولو أن كتاب الواسطي مفقود وليس حجة على ذلك، وتعصب المثقفين للثقافات المترجمة ودفاعهم علماء العربية عن لغتهم كل ذلك لا يشبه نظرية النظم عند الجرجاني.[3] والرأي نفسه يؤكده محمد عبد المنعم خفاجي حين يقول "وعلى أي حال فإننا لا نذهب إلى أن رد البلاغة والاعجاز إلى النظم هو الجديد عند عبد القاهر ولكن الجديد عنده هو شرحه

---

[1]- أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص ص95-96.

[2]- محمد عبد المنعم وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص ص195-196.

لنظرية النظم هذا الشرح الجديد حقا، وتطبيقه عليها، هذه التطبيقات النقدية البيانية الواسعة، وفرق على أية حال بين أية نظرية في استبانتها، وبينها في قمة ازدهارها"[1].

وينكر عبد القادر حسين أن يكون الجرجاني مخترعا لنظرية النظم، ولكنه لم يجحد فضله المتمثل في جمع إشارات السابقين في نظرية احتوت البلاغة كلها في النظم: "وإذا أصبح من الثابت أن عبد القاهر لم يبتكر نظرية النظم بمعنى أنه خلقها من العدم، فإنها تنسب إليه بفضل تطبيقها على كثير من أبواب البلاغة التي تدخل في علم المعاني، أو البيان، أو البديع، ولم يكن يكتفي بتلك الإشارات العابرة الدالة على القصد، كما فعل السابقون، ولكنه خلق من هذه الإشارات نظرية بلاغية كبرى احتوت البلاغة كلها حتى أصبحت تصب في النظم، ولا يغض من قيمة عبد القاهر في نظرية النظم، ا، هذه النظرية قد طرقها المتقدمون، فالابتكار ليس في حقيقته استخلاص الموجود من المعدوم، بل يكون من التأليف بين أشياء استقرت لنستخرج منها شيئا لم يستقر ولم يولد بعد".[2]

ويوضح أن الابداع لا يكون من العدم، فكل النظريات ينطلق فيها أصحابها من آراء غيرهم، "فإذا كان القصد بأن عبد القاهر قد انتفع بجهود السابقين في نظريته، أو أنهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك، فما من نظرية تقوم على فراغ، أو تبنى على هواء، أو تخلق من العدم والانتفاع بآراء السابقين لا يصح أن يكون موضع طعن لأصحاب النظريات الجديدة، أما إذا كان المراد بأن عبد القاهر قد تأثر بهم تأثرا واضحا، فهذا لا يمكن قبوله لمجرد أننا ألفينا أشياء لا تعد وأن تكون شبحا ضئيلا لم تتحدد معالمه، أو تتضح قسماته".[3]

---

[1]- محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، ص159.

[2]- عبد القادر حسن، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص366.

[3]- المرجع نفسه، ص ص366-367.

المحاضرة السابعة:

النّظم بين البلاغة والنحو

المحاضرة السابعة :النّظم بين البلاغة والنّحو

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف أن النحو هو أساس النّظم والبلاغة معا.

- أن يميز بين النّظم العادي والنّظم الفني .

أشرنا سابقا إلى أنّ الجرجاني أكد أكثر من مرة أنّ الاستعارة والتمثيل وغيرها من المجاز من مقتضيات النظم، وأنّ النظم في جوهره هو النّحو في حقيقته من خلال تأليف العناصر اللغوية وفق قواعد النحو ووجوهه المختلفة، وأنّ الصور البيانية والأساليب البلاغية لا يعلو شأنها إلا إذا اعتمدت على دعامة متينة هي توخي معاني النحو وقوانينه.

تنطلق البلاغة بالضرورة من معطيات النحو، وهي تدرس عملا كان غائبا في أعمال النحاة، ولم يحض بالاهتمام في أنساقهم الوصفية للغة.[1]ذلك العمل يكمن في تعليل الحكام النحوية والاستغلال الفني للانحرافات من الأصل[2] بحيث يتجلى العدول عن النظم العادي إلى نظم راق من خلال الأنساق البلاغية...

النظم إذا هو النحو أو الجانب التركيبي النحوي في الجملة، غير أنّ النّظم يزيد عن النحو عندما يشبه عبد القاهر الناظم بالباني، وهو يتفنن في البناء، كاشفا الإمكانات الجمالية اللامحدودة للتركيب والترتيب[3] "وأن يحتاج في الجملة إلى أن تضعها في النفس وضعا واحدا، وأن يكون حالك فيها حالالباني يضع بيمينه ههنا في حال ما

---

[1]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الاقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الردن، 2013، ص213.

[2]- رشيد بلحبيب، النحو والبلاغة مقاربة في الاتصال والانفصال، مجلة جذور، ع4، مج2، سبتمبر 2000، ص380.

[3]- حسن المودن، بلاغة الخطاب الاقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب، ص214.

يضع بيساره هناك، وفي حال ما يبصر مكان ثالث ورابع يضعهما بعد الأولين وليس لما شأنه أن يجيء على هذا الوصف حد يحصره وقانون يحيط به، فإنه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة"[1] .

إنّ دراسة عبد القاهر للبلاغة ليست دراسة مستقلة وإنما دراسة في إطار النظم، إذ وضح كيف يسهم التركيب النحوي في بلاغة التعبير وإنشاء أساليب بلاغية راقية ، ولذلك فإن "النحو عند عبد القاهر نحوان أولهما نحو لغوي، وثانيهما نحو بلاغي، والصواب عنده صوابان، أولهما صواب عادي لا تتعلق به الفضيلة، والثاني صواب امتيازي تحصل به المزية وينتج سحر البلاغة وشرف البيان".[2]

يقول عبد القاهر في هذا السياق: "أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل أما والصواب كما ترى فلا لأنا لسنا في ذكر تقويم اللسان والتحرز من اللحن وزيغ الاعراب فنعتد بمثل هذا الصواب، وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر".[3]

إنّ النحو بمفهوم الجرجاني هو الخيط الرفيع الذي يربط البلاغة بالنّظم، ولذلك راح يدافع عن النحو بوصفه أساس النظم، والنظم دعامة البلاغة "واعمد إلى ما تواصفوه بالحسن بسبب معنى لطيف، أو حكمة، أو أدب، أو استعارة أو تجنيس، أو غير ذلك مما لا يدخل في النظم، وتأمله ... فإنك تعلم ضرورة أن ليس إلاّ أن قدم وأخر، وعرف ونكر، وحذف وأضمر، وأعاد وكرر، وتوخى على الجملة وجها من الوجوه التي يقتضيها علم النحو".[4] ومعرفة المتكلم بالوجوه (القواعد المختلفة تتيح له إمكانية البحث عن الأنساق اللغوية الراقية وإبداع أجمل الصور البيانية والبلاغية).وعلى هذا الأساس عد النحو أساس النظم والبلاغة معا .

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ص102-103.

[2]- عبد الملك بومنجل، تاصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية ، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده ، جامعة سطيف 2 ، د ت ، ص 77 .

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص106.

[4]- المصدر نفسه، ص 97.

1-الاستعارة:

إنّالحسن في الاستعارة كما في المثال المشهور الذي تداولته كتب البلاغة ليس مرده إلى الاستعارة في حد ذاتها "الاستعارة وإن كانت جارية في لفظ اشتعل إلا أن الحسن أتى من قبل نظم الجملة على النحو المذكور، فَأَسنَدَ الاشتعال إلى الرأس وكان حقه أن يسند إلى الشيب، وهذا هو المصدر الحقيقي للحسن، وليس الاستعارة، لأن هذا الحسن متحقق دون الاستعارة في نظير هذه الآية العارية من هذه الاستعارة مثل: طاب زيد نفسا وقر عمرو عينا ... ونحو ذلك مما يجري على نسق الآية".[1]

ومن الاستعارات التي استدل بها الجرجاني في هذا السياق قول القائل اشتعل البيت نارا، فالاشتعال شامل للبيت كله، أي إن النار التهمته وأتت عليه ، فالاستعارة بسبب طريقة نظمها بتقديم البيت وإسناد الاشتعال إليه بدلا من النار،[2] والأمر نفسه في الآية الكريمة ﴿وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا﴾[القمر 12].

فالتفجير في المعنى للعيون وبالعدول عن ذلك عن طريق التقديم والتأخير صار للأرض للدلالة بأن الأرض أصبحت عيونا كلها وكأن الماء يفور من كل مكان فيها حتى صارت الأرض ماءا، ولو كان نظم الاستعارة أو نسقها التركيبي على النحو: وفجرنا عيون الأرض أو العيون لكان المعنى أن الماء موجود في الأرض في شكل ينابيع متفرقة.[3]

ويمثل بأبيات شعرية يثبت فيها أن جمال الاستعارة وبلاغتها يعود إلى النظم كما في قول بعض الأعراب .

الليل داج كنفا جلبابه والبين محجور على غرابه

---

[1]- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، دت، ص390.

[2]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص109.

[3]- المصدر نفسه ، ص ص109-110.

فالحسن لا يكمن في استعارة الجلباب لليل ولا في الحجر على الغراب [وإنما في طريقة تأليف الكلمات وفق قواعد النحو] حيث جعل الشاعر الليل مبتدأ وداج خبرا له وفعلا [اسم الفاعل داج يعمل عمل فعله] لما بعده وهو الكنفان وأضاف الجلباب إلى ضمير يعود على الليل كما جعل البين مبتدأ و محجورا خبرا له، ولو قال: وغراب البين محجور عليه أو: قد حجر على غراب البين لذهب ما كان من حسن في الاستعارة.[1]لتغير النظم الذي لم يكن مصاغا صياغة ترقى إلى ما قام به الشاعر.وفي قول المتنبي

غضب الدهر والملوك عليها فبناها في وجنة الدهر خالا

يبدو في الوهلة الأولى أن حسن الاستعارة تعود إلى أن الشاعر جعل للدهر وجنة [أو إشعارها لها]، كما جعل البنية خالا في الوجنة، وهذا ليس صحيحا لأن الحسن يتمثل في إخراج الكلام [أو طريقة صياغته ونظمه وفق قوانين النحو]، بحيث جاء الخال منصوبا على الحال من قوله فبناها، ولو قال: وهي خال في وجنة الدهر بتغير النظم لما كانت صورة الاستعارة على الجمال الذي كانت عليه.[2]

يبدو أن الاستعارات التي تحدث عنها الجرجاني هنا هي استعارات مكنية المشبه فيها مذكور، والمشبه به محذوف مع ترك صفة من صفاته، وبلاغتها تعود إلى طريقة نظمها أو جودة نسقها، والسؤال الجدير طرحه هنا : هل الاستعارات التصريحية هي الأخرى لها المزية نفسها؟

إذا كانت الاستعارة التصريحية تشبيها يذكر فيه المشبه به فقط فمعنى هذا أن ثلاثة من أركان التشبيه محذوفة أو تم إخفاءها.

يوضح الجرجاني هذه الفكرة بحيث يرى أنه كلما كانت العناصر المحذوفة كثيرة كانت الاستعارة أجمل أو ازداد حسنها "واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت

---

[1]- عبد القاهر، دلائل الاعجاز، ص110.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 110 ،111.

إرادتك للتشبيه إخفاء ازدادت الاستعارة حسنا، حتى أنك تراها أَغربُ ما تكون إذا كان الكلام قد ألف تأليفا إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس، ويلفظه السمع".[1] ويفهم من هذا الكلام أنّ الاستعارة التصريحية أبلغ من المكنية، كما أن التشبيه البليغ أبلغ من أنواع التشبيهات الأخرى، والضمني أكثر بلاغة من البليغ وقد أشار البلاغيون إلى تفاوت وتفاضل هذه التشبيهات في الحسن ، والجديد الذي أتى به عبد القاهر أن النظم وجودة النسق النحوي هو الذي يحدد هذا التفاوت بين هذه الصور البيانية .

يقول أحد الشعراء

فأسلبت لؤلؤا من نرجس وسقمت وردا وعضت على العناب بالبرد

المشبه في هذا البيت محذوف وهو الدمع، والمشبه به مذكور وهو اللؤلؤ، والعين أيضا هو المشبه الثاني المحذوف والمشبه به المصرح هو النرجس.وإخفاء أحد طرفي التشبيه (المشبه) والركنين (الأداة ووجه الشبه) هو النسق النحوي المحذوف باعتبار أنّ (ظاهرة الحذف ظاهرة نحوية) الذي كان نفسه "وذاك أنك تستطيع أن تجيء به صريحا فتقول: فأسلبت دمعا كأنه اللؤلؤ بعينه من عين كأنها النرجس حقيقة، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئا".[2] وبالتالي فجمال الاستعارة هنا عائدة إلى كثرة المحذوفات .

وتتضح حسن الاستعارة العائدة إلى حذف أركان التشبيه في قول ابن المعتز

أثمرت أغصان راحته بجنان الحسن عنانا

إذا كانت الاستعارة قائمة على نسق التصريح بأركان التشبيه فقدت حسنها وصارت مبتذلة "ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه وتفصح به احتجت إلى

---

[1]- المصدر السابق، ص402.

[2]-المصدر نفسه، ص401.

أن تقول: أثمرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العناب من أطرافها المخضوبة وهذا ما لا تخضى عثاثته".[1]

2- التمثيل:

يعود جمال بلاغة التمثيل بلاغته إلى النسق النحوي القائم على ترتيب معاني النحو في النفس والتعلق النحوي بين الكلمات (أركان التمثيل) من خلال إقامة العلاقات الإسنادية بينها يقول بشار [....][2]

كأنّ مثار النّقع فوق رؤوسا وأسيافنا تهاوى كواكبه

يُعلّق عبد القاهر على أهمية النظم بوصفه تجسيدا لقواعد النحو في التمثيل الوراد في هذا البيت "وانظر هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفرادا عارية من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكون قد وقع "كأن" في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء، وأن يكون فكر في "مثار النقع" من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني، وفكر في "فوق رؤوسنا" من غير أن يكون قد أراد أن يضيف "فوق" إلى الرؤوس وفي الأسياق من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على مثار وفي الواو من دون أن يكون أراد العطف بها، وأن يكون كذلك فكر في "الليل" من دون أن يكون أراد أن يجعله خبرا لكأن، وفي تهاوى كواكبه" من دون أن يكون أراد أن يجعل تهاوى فعلا للكواكب ثم يجعل الجملة صفة لليل ليتم الذي أراد من التشبيه؟ أم لم تخطر هذه الأشياء بباله إلا مرادا فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها؟ وليت شعري كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد تعليقها بمعنى كلمة أخرى".

قلنا قبل قليل أنّه كلّما كان إخفاء أركان الاستعارة أكثر مع توخي معاني النحو على نسق مخصوص كلما كانت أكثر جمالا وبلاغة، والأمر نفسه ينطبق على التمثيل

---

[1]- المصدر السابق ، ص402.

[2]- المصد نفسه، ص370.

"وكذلك الحكم في التمثيل فإذا قلت: أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى: كان أبلغ في إثبات التردد له من أن تقول: أنت كمن يقدم رجلا ويؤخر أخرى".[1]

وجدير بالذكر أنّ عبد القاهر وهو يتحدث عن حذف ما يمكن حذفه في الاستعارة والتمثيل، كان يهدف إلى البحث عن جودة الأساليب البلاغية اللغوية الراقية، ولم يعلل ذلك بسبب النظم/النسق النحوي، بحيث أرجع الاستعارة في هذه الحالة إلى اللفظ، ولكنه كما رأينا سابقا يذكر أن توخي معاني النحو في الكلام العادي وفي البليغ منه، ويعلل سبب الحسن في الاستعارة وغير الاستعارة إلى تفاضل نظم الكلام القائم على نسق نحوي مخصوص يقوم على إخفاء (حذف بعض أركان التشبيه) . وكلما كان إخفاء العناصر أكثر كلما ازدادت الاستعارة والتمثيل رونقا وبلاغة، ومعنى هذا أننا أمام سلم تتفاوت فيه التعابير البلاغية وتترتب من العادي إلى الحسن فالأحسن بسبب النحو و النظم معا .

إنّ الصور البيانية في الحقيقة جزء من النظم، وليست سر جماله، بل إنّ النظم هو سر جمالها، ولذلك فهو يرفض أن نجعل الاستعارة هي الأصل في الإعجاز، وأن يقصد إليها، لأن ذلك يؤدي أن يكون إلى أن يكون الاعجاز في أي معدود مواضع من السور الطوال مخصوصة وإذا امتنع ذلك لم يبق إلا أن يكون في النظم والتأليف" والنظم كما أشرنا سابقا يقوم على كفاءة توظيف قوانين النحو والتمكن من استعمالها استعمالا بلاغيا راقيا.

وفي ضوء هذا الثالوث (النظم، النحو، البلاغة) فإن الإضافات التي قدمها الجرجاني في وجه الدرس اللغوي البلاغي تتمثل في الارتقاء بالنحو من كونه درسا لقواعد الإعراب وقوانين السلامة اللغوية إلى اعتباره أساس بلاغة الكلام وطرق الدلالة على المعاني، وسر براعة النظم وحسن الدلالة وتفاصل مراتب الفصاحة، أي إنّ النحو الذي يقصده الجرجاني يمثل مستوى أرقى، جدير بتعلمه والتدرب عليه، لأنه روح

[1]- المصدر السابق، ص400.

النظم وسر البلاغة، والبلاغة هي حسن الدلالة على المعنى،[1] وبعبارة أخرى فإن "النحو عند عبد القاهر نحوان، أولهما نحو لغوي، وثانيهما نحو بلاغي، والصواب عنده صوابان، أولهما صواب عادي لا تتعلق به الفضيلة، والثاني صواب امتيازي تحصل به المزية وينتج سحر البلاغة وشرف البيان".[2]

[1]- عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية ، ص 75.

[2]- المرجع نفسه، ص77.

المحاضرة الثامنة :

الدلالة والسياق

المحاضرة الثامنة :الدّلالة والسّياق

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف أهمية السياق في تحديد المعنى .

- أن يعرف مفهوم السياق عند عبد القاهر الجرجاني .

1- مفهوم السّياق

لغة:

تدل كلمة سياق في المعاجم العربية القديمة والحديثة على التتابع والسير والملاءمة والاتفاق والنظم، يقول الزمخشري (ت 538) "وتساوقت الإبل، تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده"[1]. وفي المعجم العربي الأساسي: السياق لغة من ساق، يسوق سوقا، وسياقة، ومساقا، وهو سياق، والجمع سياقات، وسياق الشيء مجراه، وتتابعه، وسياق الكلام، والأمر، والأفكار، المقامات التي يقع فيها".[2]

مصطلحا:

لا شك أنّ الكلمة المفردة المعزولة في المعجم لها معاني كثيرة. والذي يحدد معناها هو مجاورتها لكلمات أخرى في السياق وهذا الخير يعني أن "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وإن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها".[3]

---

[1]- الزمخشري،أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ن بيروت ، لبنان ، ط1، 1998 ، ص 225 .

[2]- المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للثقافة والفنون، تونس، 1989.

[3]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، ط5، 1998، ص ص68-69.

وهو مفهوم يشير إلى السياق اللغوي أو السياق الداخلي الذي يعني بالنظم اللفظي للكلمة، وموقعها من ذلك النظم، آخذا بعين الاعتبار ما قبلها وما بعدها في الجملة"[1] هذه الأخيرة هي التي تحدد معاني الكلمات، بعدما كان يعتقد بعض الباحثين أن معنى الجملة هو مجموع معاني كلماتها، وهذا غير صحيح إذ إن الكلمات تأخذ معانيها من معاني الجمل التي تتركب فيها وليس العكس.[2] ومن هنا فإن قيمة الكلمة لا تظهر دلالتها لا تتضح إلا من خلال موقعها بجانب كلمات أخرى في الجملة أو السياق الذي يمثل نسق التركيب اللغوي للكلمات مع بعضها.

2- أهمية السياق اللغوي:

تكمن أهميته في "توضيح العلاقات الدلالية عندما يستخدم مقياسا لبيان الترادف، أو الاشتراك، أو العموم، او الخصوص، أو الفروق ونحو ذلك، فالمعنى الذي يقدمه المعجم عادة هو معنى متعدد وعام، ويتصف بالاحتمال، على حين أن المعنى الذي يقدمه السياق هو معنى معين، له حدود واضحة، وسمات محددة غير قابلة للتعدد أو الاشتراك أو التعميم".[3] ومعنىهذا أن "الوظيفة السياقية للخطاب تتمثل في حجب تعدد المعاني في الكلمات، وتقليص الاستقطاب في أقل عدد ممكن من التأويلات"[4] بحيث يتضمن ما يشير إلى ترجيح معنى على آخر[5] "لأنه إذا احتمل الكلام معنيين، وكان حمله على أحدهما أوضح وأشد موافقة للسياق، كان الحمل عليه أولى"،[6] وبالتالي

---

[1]- عبد الله زيد، عمر، السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني، مجلة جامعة الملك سعود، م15، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية، ص837.

[2]- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والعجم، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2001، ص21.

[3]- قدور أحمد محمد، مبادئ اللسانيات، دمشق، 1986، ص295.

[4]- ريكور بول، نظرية التأويل، الخطاب وفائض المعنى، ترجمة وتعليق سعيد الغانمي، المركز الثقافي الغربي، الدار البيضاء، بيروت، 2003، ص45.

[5]- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، ص24.

[6]- بن عبد السلام العز، الإشارة إلى الايجاز في بعض أنواع المجاز، دار الفكر ،دمشق، سوريا، (دت) ج01، ص277.

فالسياق هو الفيصل الذي يقضي على متاهه تعدد المعنى، ويوجه المتلقي نحو معنى واحدا".

إن المفردات في صيغتها الخاصة عند ترتيبها في بنية النص في تركيبها العام يمنح للسياق أحقيه ترجيح معنى ما على المعاني المتعددة التي قد تتبادر إلى الأذهان من خلال الكلمة وطبيعة نسق النص المتمثل في مكوناته اللغوية وكلماته التي تشكل جمل النص وعبارته تحدد فكرة النص ودلالته. إنّ نسق النص هو السياق اللغوي الذي يشكل بوصلة النص التي تحدد اتجاهته والذي يتجه بالملتقى إلى دوائر الفهم المتناسبة مع المعنى الذي أراده المرسل.

كما في العبارات التالية، (أكل على طعامه)، (أكل علي مال اليتيم)، (أكل علي أصابعه ندما)، (أكل علي ضربة على رأسه)، (أكلني جلدي أو رأسي)، (أكلت السكين اللحم)، (علي يأكل عمره)، (علي يأكل لحوم الناس)، (أكل علي علقة)، فإذا معاني المفردات (يأكل) يحددها السياق اللغوي.[1]

ومعنى الكلمة كما يرى هاليداي (Haliday) يتحدد من خلال ورودها مع كلمات أخرى، لذلك يجب أن ننظر إلى الكلمات التي تقع معها في سياق لغوي يقبله أبناء اللغة مثل (الحديد والذهب والفضة) ولا يرد مع كلمات (التراب والخشب والجلد والملح). وعلى هذا الأساس نحدد معنى (منصهر) ونعرف أنها لا ترد في سياق لغوي مقبول مع المجموعة الثانية من الكلمات[2]، أي إنّ معنى كلمة ما يتلاءم مع معاني كلمات أخرى تنتمي إلى حقل دلالي واحد.

3- علاقة السياق بالدلالة:

إذا كانت الكلمة لا يتحدد معناها إلا في ضوء سياق استعمالها، فإن السياق دون شك يتأسس على قواعد النحو، أو ينبني على نسق تركيب الكلمات وصياغة الجملة

---

[1]- نايف خرما، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، الكويت، 1978، ص ص122-123.

[2]- قدور أحمد، مبادئ اللسانيات، ص 301 وأحمد مختار، علم الدلالة، ص74.

من خلال إقامة العلاقات النحوية بينها وتوخي معاني النحو وقوانينه كما قال الجرجاني، بحيث تتفاعل الدلالة النحوية مع دلالة المفردات.

يمثل السياق البنيات اللغوية التي تظهر فيها الأنساق النحوية التجريدية "وهذا مادعى أصحاب النظرية السياقية إلى أن يقولوا إن الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي تظهر فيه، ومهما يكون هذا السياق – بلا شك– علاقتها النحوية بغيرها".[1] فالفعل (ضرب) مثلا في (ضرب الله مثلا).

تختلف دلالته وإن اتحدت صيغته ومادته عن (ضرب) في "ضرب زيد عمرا" رغم أن الجملتين تتألف من (فعل + فاعل + مفعول به)، والاختلاف الدلالي في الفعل ضرب يعود إلى إسناده إلى فاعل معين ووقوعه على مفعول ما في الجملتين.[2]إنّ العلاقات النحوية هي التي تحدد الدلالة وإذا جئنا إلى عبد القاهر فقد حظي السياق عنده بالدراسة والتحليل بـ "أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلام إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إلى إفادتها إلا بضم كلمة إلى كلمة"[3] فالنظر إلى الكلمة قبل تأليفها مع غيرها معناه التفكير في اختيارها وموقعها مع ما قبلها وما بعدها من كلمات أخرى حتى يستقيم النظم/ التأليف وتكون الجملة صحيحة نحويا ودلاليا "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب".[4]

وإذا عدنا إلى فكرة ترتيب المعاني في النفس قبل ترتيب الألفاظ في اللسان "ليس الغرض بنظم الكلام أن توالت ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها، وتلاقت

---

[1]- محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي، ص71.

[2]- المرجع نفسه، ص71.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ص57، 58.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح وتعليق عبد المنعم خفاجي وعبد العزيز شرف ، دار الجبل ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1991، ص2.

معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل"[1]، فإن الترتيب هنا "يرفع المعنى عن مستوى رص الكلمات إلى حسن نظمها ورصفها وهو السياق اللغوي"[2]، ومن ثمة فإن "الكلام المنطوق بصورة منظمة هو المستوى الثاني من الكلام وهو ما يسميه بالنظم، ويشبه أن يكون النظم مرادفا لمفهوم السياق"[3] وبالإضافة إلى تحديد معنى الكلمة فالسياق يرفعها إلى مستوى البلاغة "لا يمكن أن تكون الكلمات بليغة في حد ذاتها، ولكنها بحاجة إلى سياق، وعندما يترتب السياق بالشكل الصحيح- أي النظم- يمكن أن تكون هناك بلاغة وتفوق في الأسلوب ويشير الترتيب الصحيح في هذا السياق إلى التوافق بين المعاني في الذهن والكمات في الجملة"[4].

وعلى ضوء ماسبق يمكن القول أنّ السياق اللغوي هو النظم أو مراعاة قواعد النحو ووجوهه ، وأن معنى الكلمة وقيمتها البلاغية تظهر وهي بجانب كلمات أخرى؛ أي من خلال سياق استعمالها ودونه تبقى الكلمة مفردة لا قيمة لها.

4- أثر السياق في المشترك اللفظي:

جاء في أسرار البلاغة أن يد الانسان تدل على القدرة والاستطاعة في قول القائل فلان طويل اليد، ويراد بها السخاء والعطاء في قول الرسول صلى الله عليه وسلم وقد قالت له نساؤه أيتنا أسرع لحاقا بك يا رسول الله فقال "أطولكن يدا" وهي تدل على التوحد والاتفاق كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "المؤمنون تتكافأ

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ص65 ،66.

[2]- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب، ص45.

[3]- سمير شريف ستيتة، منازل الرؤية، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص129.

[4]- كيس فيرشيج، أعلام الفكر اللغوي، تر أحمد شاكي الكلالي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2011، ص445.

دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يدٌ على من سواهم"[1] وكأن المسلمين في اتفاقهم واتحادهم كمثل يد واحدة.[2]

لا ريب أن معنى اليد يختلف من مثال إلى آخر وتحديده في كل مرة راجع إلى السياق من خلال طريقة التركيب النحوي للكلمات في كل مثال مع اختيار اليد وتموقعها مع ما قبلها وما بعدها فأفادت المعاني المذكورة سابقا.

4-1- في الترادف:

يقول الجرجاني: "هل يتصور أن يكون بين اللفظين تفاضل في الدلالة حتى تكون هذه أدل على معناها الذي وضعت له من صاحبتها على ما هي موسومة به، حتى يقال "رجلا" أدل على معناه من "فرس" على ما سمي به؟ وحتى يتصور في الاسمين الموضوعين لشيء واحد أن يكون هذا أحسن نبأ عنه وأبين كشفا عن صورته من الأخرى؟ فيكون الليث مثلا أدل على السبع المعلوم من "الأسد" وحتى أنا لو أردنا الموازنة بين لغتين، كالعربية والفارسية ساغ لنا أن نجعل لفظة "رجل" أدل على الأدمي الذكر من نظيره في الفارسية؟ وهل يقع في وهم –وإن جهد– أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم"[3].

إنّ الأمثلة التي ضربها الجرجاني هنا الهدف منها توضيح أن السياق المتمثل في موقع الكلمة من الكلمات الأخرى وطريقة نظم معاني الكلمات والتأليف بينها في ضوء توخي معاني النحو وقوانينه هو الذي يجعل كلمة ما أفضل دلالة من مرادفها. كما أن السياق الاجتماعي يسهم هو الآخر في التفاضل الدلالي للكلمتين مستدلا بكلمة الأدمي الفارسي التي يعطيها المجتمع الفارسي بعدا دلاليا يجعلها أفضل من كلمة الرجل في العربية والعكس صحيح.

---

[1]- حديث نبوي، رواه أبو داود والنسائي والبيهقي .

[2]- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ص 308 ، 309.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص58.

وما قام به أحد الشعراء عندما اقتفى آثار شاعر آخر مقلدا معناه بألفاظ مرادفة لألفاظه فأساء للمعنى واللفظ معا يؤكد أهمية السياق القائم على اختيار الكلمات لتتناسب دلالتها وتتفاعل مع الوظائف النحوية بترتيب معانيها وتعالقها النحوي في إطار النظم

يقول الحطيئة:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وقال آخر مقلدا إياه

ذر المآثر لا تذهب لمطلبها واجلس فإنك أنت الآكل اللابس

كل كلمة من بيت الحطيئة على الترتيب مرادفها في البيت الثاني؛ ذر مرادفة لدع، المآثر يرادفها المكارم وهكذا، فأفضلية بيت الحطيئة تعود إلى السياق اللغوي واختيار الكلمات وتناسقها الدلالي فجاء نسقها محكما والدليل على ذلك لو قام الحطيئة بوضع كلمة الآكل مكان الطاعم قائلا

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الآكل اللابس

لاختل نسق النظم لعدم مناسبة معنى "الأكل" للكلمات الأخرى في السياق نفسه.[1]

4-2-أثر السياق في الكلمة المفردة:

قلنا سابقا أن الكلمة لا قيمة لها إلا وهي بجانب كلمات أخرى في السياق، وقد أفاض الجرجاني الحديث عن هذا الجانب إذ يرى ان الكلمة تقبلها الكلمات الأخرى إذا كانت دلالتها مناسبة لها "وهل قالوا لفظة متمكنة مقبولة وفي خلافه قلقة نابية مستكرهة إلا وغرضهم أن يعبروا بالتمكن حسن الاتفاق بين هذه وتلك من جهة

[1]- المصدر السابق ، ص 58.

معناهما وبالقلق والنبو عن سوء التلاؤم".[1] إن الاتفاق بين معاني الكلمات معناه تناسبها وارتباطها بنفس المجال وورودها في سياق مقبول وتناسبها وارتباطها بنفس المجال وورودها في سياق مقبول وهي الفكرة ذاتها التي أشار إليها هاليداي كما رأينا سابقا.

وحجة عبد القاهر هنا أن اللفظ يكون مألوفا حسنا في موضع أو سياق ويكون غريبا وحشيا إذ كان معناه لا يلائم معاني الكلمات الأخرى في موضع آخر، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"،[2] يقول أحد الشعراء[3] ().

تلفت نحو الحي حتى وحدتني وجعت الاصغاء ليتا وأخدعا

إن حسن كلمة "أخدع" آت من مناسبة معناها لمعاني الألفاظ الأخرى، ولكن هذا الحسن تفقده في نسق آخر أو سياق كما في قول أبي تمام

يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك

إنّ المفاضلة بين لفظة وأخرى واعتبار واحدة مألوفة والأخرى وحشية أو نابية لا يجب أن يتم خارج النسق اللغوي، خارج الضم أو النظم "وهذا باب واسع فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استملا كَلما بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماء، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة حسنت من حيث هي لفظ، وإذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها لمجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما تحسن

---

[1]- المصدر السابق ، ص58.

[2]- المصدر نفسه، ص58.

[3]- البيت من قصيدة معروفة للشاعر الضمة القصيري قالها يصف وداعه لأحبابه.

أبدا أولا تحسن أبدا، ولم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر، وكيف يورد ويصدر كهذا القول".[1]

إذا الكلمات المفردة كلها متساوية لا حسن فيها، وإذا استعملت في سياق اتضح معناها وظهرت بلاغتها، بل إن الكلمة نفسها إذا جاءت في سياقين فإنها تكون في أحدهما أفضل من الآخر، والذي منح لها هذا الحسن والأفضلية هو الكلمات التي تتألف معها في نفس السياق، وهذا السياق لا يغدو أن يكون هو النسق النحوي الذي تتألف منه الكلمات.

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص61.

المحاضرة التاسعة :

نظرية النّظم وأثرها في الدرس النحوي

المحاضرة التاسعة : نظرية النّظم وأثرها في الدّرس النّحوي

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف أثر النظم في النحو

- أن يعرف أن النّظم والنحو وجهان لعملة واحدة

قلنا سابقا أن نظرية النظم تقوم على النحو، وأن النظم والنحو مصطلحان مترادفان، لأن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه، وبالتالي فإن نظرية النظم تتجلى آثارها في الدرس النحوي من خلال تجاوز الحركة الإعرابية إلى دراسة التركيب النحوي .

تبين الأسس السابقة لنظرية النظم التي أشرنا إليها أثناء تعريف النظم وهي: ترتيب المعاني في النفس والتعليق النحوي ومعاني النحو نحوية تبين العلاقة بين النظم والنحو، ولأنها سبق الحديث عنها سابقا سأكتفي بذكر الأمثلة الواردة في دلائل الإعجاز والمتعلقة بالتعليق النحوي.

1- التعلق

1-1 - تعلق الاسم بالاسم:

يشرح عبد القاهر هذا المصطلح قائلا "... يكون خبرا عنه أو حالا منه، أو تابعا له صفة أو تأكيدا أو عطف بيان أو بدلا، أو عطفا بحرف، أو بأن يكون الأول مضافا إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول وذلك في اسم الفاعل كقولنا: زيد ضارب أبوه عمرا وكقوله تعالى: "**أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها**"[سورة النساء الآية 76]اسم المفعول كقولنا: "زيد مضروب غلمانه وكقوله تعالى: "**ذلك يوم مجموع له الناس**"[سورة هود الآية 103]، والصفة المشبهة كقولنا زيد حسن وجهه، وكريم أصله، وشديد ساعده،

والمصدر كقولنا عجبت من ضرب زيد عمرا، وكقوله تعالى "**أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما**"[سورة البلد الآية 14]أو بأن يكون تمييز قد جلاه منتصبا عن تمام الاسم ومعنى تمام الاسم أن يكون فيه كما يمنع من الإضافة وذلك بأن يكون فيه ما نون تثنية قفيزان برا، أو نون جمع كقولنا عشرون درهما، أو تنوين كقولنا خمسة عشر رجلا".[1]

1-2- تعلق الاسم بالفعل:

وذلك بأن يكون فاعلا له أو مفعولا فيكون مصدرا قد انتصب به، كقولك ضربت ضربا، ويقال له المفعول المطلق أو مفعولا به كقولك: ضربت زيدا، أو ضربا مفعولا فيه، زمانا أو مكانا، كقولك: خرجت يوم الجمعة ووقفت أمامك، أو مفعولا معه كقولنا جاء البرد والطيالسة، ولو تركت الناقة وفصيلها لرضعها. أو مفعولا به له كقولنا: جئتك إكراما لك".[2]

1-3- تعلق الحرف بهما:

قسمها الجرجاني إلى ثلاثة أضرب "فالضرب الأول أن يتوسط الفعل والاسم، فإذا قلت مررت بزيد أو على زيد: وجدته قد وصل بالباء أو على وكذلك سبيل الواو الكائنة بمعنى "مع" في قولنا لو تركت الناقة وفصيلها لرضعها، بمنزلة حرف الجر في الوسط بين الفعل والاسم وايصاله إليه ... والضرب الثاني من تعلق الحرف بما يتعلق به العطف: وهو أن يدخل الثاني في عمل العامل في الأول، كقولنا: جاءني زيد وعمرو، ورأيت زيدا وعمرا، ومررت بزيد وعمرو، والضرب الثالث: تعلق بمجموع الحملة كتعليق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه"[3].

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص10.

[2]- المصدر نفسه، ص ص10-11.

[3]- المصدر نفسه، ص ص11-12.

يرى تمام حسان أن أهم وأخطر ما تكلم فيه الجرجاني هو التعليق: "وأما أخطر شيء تكلم فيه عبد القاهر على الاطلاق فلم يكن النظم ولا البناء ولا التركيب وإنما كان (التعليق) وقد قصد به في زعمي إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية"[1] ولذلك فهي من أصعب القرائن "من حيث إمكانية الكشف وذلك راجع لأنها قرينة معنوية خالصة تحتاج إلى تأمل في أحيان ما، وأيضا كون المتأمل فيها يقود في الأغلب الأعم من الحالات إلى متاهات الأفكار الظنية التي لا تتصل اتصالا مباشرا بالتفكير النحوي ... وما دام الناس يحسون ويعترفون بالاحساس بصعوبة الاعراب أحيانا فإن معنى ذلك أن من الصعب عليهم أحيانا أن يكشفوا عن هذه القرينة المعنوية، وهي أم القرائن النحوية جميعا".[2]

2- الإسناد:

هو عملية "ذهنية ينجزها ذهن المتكلم عندما يدرك علاقة معينة بين شيئين يريد التعبير عنها، فيتم في الذهن الربط بينهما بومضة الاسناد والتي تتم قبل أن ينطق المتكلم بالمسند والمسند إليه، وهو أي الاسناد في النظم معنى نحوي يربط بين كلمتين فيفهم منهما أن علاقة معينة هي علاقة الاسناد قد ربطت بينهما فتسمى إحدى الكلمتين أو أحد الركنين بالمسند ويسمى الآخر بالمسند إليه"[3] وعرفه مهدي المخزومي بأنه عملية ذهنية تعمل على ربط المسند إليه والمسند".[4]

يقول الجرجاني متحدثا عن الاسناد ولهذا لم يكن الفعل وحده من دون الاسم ولا الاسم وحده من دون اسم آخر أو فعل كلاما، وكنت لو قلت (خرج) ولم تأت باسم ولا قدرت فيه ضمير الشيء أو قلت زيد ولم تأت بفعل ولا اسم آخر ولم تضمره في

---

[1]- اللغة العربية معناها ومبناها، ص188.

[2]- المرجع نفسه، ص182.

[3]- سناء حميد البياتي، قواعد النحو في ضوء نظرية النظم، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003، ص31.

[4]- مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، ط1، 1964، ص84.

نفسك كان ذلك صوتا تصوته سواء فاعرفه"[1] .فالإسناد عملية ذهنية وليست شكلية فهو روح النظم، وبه يتألف الكلام على نسق معين وبدونه يبقى أصواتا لا معنى لها يقول عبد الفتاح لاشين "والنظم الذي تكلم عنه الجرجاني في جوهره يتصل بالمعنى من حيث هو تصور للعلاقات النحوية كتصور علاقة الاسناد بين المسند والمسند إليه".[2]

يوضح عبد القاهر قيمة الإسناد قائلا "معاني الكلام لا تتصور إلا فيما بين شيئين والأصل الأول وهو الخبر"[3] وذكر أن من صور الخبر إذا كان المسند اسما دل على الثبوت موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تحدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء؛ فإذا قلت: (زيد منطلق) فقد أثبت الانطلاق فعلا له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا فشيئا، بل يكون المعنى فيه كالمعنى في قولك: (زيد طويل وعمرو قصير).[4] وإذا كان فعلا دل على التجدد والتغير "وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك ؛ فإذا قلت ها هو ذا ينطلق فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءا فجزءا"[5] وفي قوله تعالى: **"وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد"**[سورة الكهف الآية 18]لو كان النسق فعلا بالقول "كلبهم يبسط ذراعيه" لما أدى الغرض[6] لدلالته على التجدد في حين أنّ الكلب كان ثابتا في مكانه لا يتحرك.

يفرق بين الخبر الابتدائي والخبر غير الابتدائي؛ الأول لم يسبق للسامع معرفته مثل زيد منطلق لا يمكن الاعتماد فيه على الرتبة لمعرفة مبتدأ الخبر، بل الاسناد هو الذي يحدد ذلك "المبتدأ لم يكن مبتدأ لآنه منطوق به أولا، ولا كان الخبر خبرا لأنه مذكور بعد المبتدأ، بل كان المبتدأ مبتدأ لأنه مسند إليه ومثبت له المعنى، والخبر

---

[1]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز،ص 371.

[2]- عبد الفتاح لاشين، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية، دار المريخ، دط، دت، ص79.

[3]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص 458.

[4]- المصدر نفسه، ص174.

[5]- المصدر نفسه، ص174.

[6]- المصدر نفسه، ص175.

خبرا لأنه مسند ومثبت به المعنى"[1] أما الخبر غير الابتدائي الذي يكون معلوما لدى السامع فالرتبة فيه محكمة "إذا جئت بمعرفتين فجعلتهما مبتدأ وخبرا فقد وجب وجوبا أن تكون مثبتا بالثاني معنى الأول، فإذا قلت (زيد أخوك) كنت قد أثبت بـ (أخوك) معنى لـ (زيد)، وإذا قدمت وأخرت فقلت (أخوك زيد) وجب أن تكون مثبتا بـ (زيد) معنى لـ (أخوك)[2] ، علما أنّ تساوي الاسمين في التعريف يؤدي إلى تغير المعنى بالتقديم والتأخير فإذا قلنا "الحبيب أنت" فالمعنى لا فصل بينك وبين من تحب كأنكما نفس واحدة، وإذا قدمنا وأخرنا بالقول "أنت الحبيب فالمعنى أنك أنت الذي أخصه بالمحبة من بين الناس".[3]

إن النظم عند الجرجاني هو النحو أو التركيب النحوي للكمات على نسق معين، هذا النسق النحوي كما في هذه الأمثلة هو المسؤول عن تحديد المعنى.

3- التقديم والتأخير:

التقديم عند الجرجاني نوعان: تقديم على نية التأخير وتقديم لا على نية التأخير.

أ. تقديم على نية التأخير:[4]

يكون بتقديم كلمة بعد ما كانت في الأصل مؤخرة دون أن يتغير الحكم النحوي والعلاقة الاعرابية مثل: زيد منطلق عن طريق التقديم يصبح منطلق زيد فزيد هنا يكون مبتدأ تقدم أو تأخر ومنطلق خبره.

ب . تقديم لا على نية التأخير:[5]

---

[1]- المصدر نفسه، ص186.

[2]- المصدر السابق، ص186.

[3]- المصدر نفسه، ص187.

[4]- المصدر نفسه، ص ص117-118.

[5]- المصدر نفسه، ص ص117-118.

وهو تقديم يؤدي إلى تغير الحكم الإعرابي للجملة ، بالإضافة إلى تغير الوصف الإعرابي أو العلامة الإعرابية نحو: زيد المنطلق، فزيد مبتدأ والمنطلق خبر له، وإذا وقع التقديم بالقول المنطلق زيد يصبح المنطلق مبتدأ بعدما كان خبرا في حين أن زيدا صار خبرا بعدما كان مبتدأ، كما يؤدي إلى تغير الحركة الإعرابية مثل: ضربت زيدا، وبتقديم كلمة زيد بالقول زيدٌ ضربته، فبعد ما كان زيد منصوبا على المفعولية أصبح مرفوعا (مبتدأ) بتقديمه: أي أن النسق الأول جملة فعلية والنسق الثاني اسمية. لا ريب أن التقديم والتأخير موضوع من موضوعات الدرس النحوي والبلاغي معا، والجرجاني درسه عن زاوية أثره في تحديد المعنى معللا ذلك بأنّ التقديم لا يعود للكمات المعجمية وإنما للعناصر النحوية أو الوظائف النحوية.

ج- التقديم في حالة الاستفهام بالهمزة:

إذا تقدم الفعل على الاسم مثل: أقلت الشعر الذي كان في نفسك أن تقوله؟

أبنيت الدار التي كنت على أن تبنيها فإن الغرض الشك في الفعل نفسه[1] لأن المتكلم يسأل عن البناء هل تم أم لا لذلك قدم الفعل، أما إذا تقدم الاسم على الفعل كما في أأنت بنيت هذه الدار؟ ومن القرآن الكريم قوله تعالى: "**أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم**"[سورة الأنبياء **62**] فإن السؤال والشك في الفاعل الذي بنى الدار وكسر الآلهة، لأن الكسر قد حدث فعلا وبالتالي السؤال لإبراهيم ليقرما إذا كان الكسر صدر منه بدليل قوله في الجواب "**بل فعله كبيرهم هذا**"[سورة الأنبياء الآية**63**] ولو كان السؤال عن الفعل لكان الجواب: فعلت أو لم أفعل.[2]

وفي الحالة التي يتقدم فيها الفعل على النكرة نحو أجاءك رجل السؤال عن مجيء أحد الرجال، وإذا تقدمت النكرة على الفعل مثل: أرجل جاءك فإن السؤال عن جنس من جاء أهو رجل أم امرأة.

---

[1]- المصدر السابق، ص ص121.

[2]- المصدر نفسه ، ص123.

التقديم في حالة النفي:

جاء في دلائل الإعجاز "وإذا قد عرفت هذه المسائل في الاستفهام فهذه مسائل في النفي إذا قلت: ما فعلت كنت نفيت عنك فعلا لم يثبت انه مفعول وإذا قلت ما أنا فعلت كنت نفيت عنك فعلا ثبت أنه مفعول".[1]

ورغبة في الإيجاز سأكتفي ببعض الأمثلة كتقديم الفعل على الاسم مثل: ما ضربت زيدا للدلالة أن المتكلم ينفي أن يكون هو الضارب زيدا، وزيد يجوز أن يكون قد ضرب أو لم يضرب وفي حالة تقدم الاسم على الفعل نحو: ما أنا ضربت زيدا فإن زيدا هنا مضروب فعلا، فأراد المتكلم نفي أن يكون هو الضارب له أو الذي ضربه.[2]

التقديم في حالة الاثبات:

يحصل هذا التقديم في الخبر المثبت بحيث يقوم المتكلم بتقديم الفاعل مثلا ثم يبني الفعل عليه مثل: زيد قد فعل، وأنا فعلت، وأنت فعلت، والمعنى يكون جليا كما يكون خفيا.

فالجلي نحو: أنا كتبت في معنى فلان، وأنا شفعت في بابه، والمعنى أن المتكلم أراد أن يدعي بأنه هو الذي كتب وهو الذي شفع دون غيره من الناس[3]، والتقدير: أنا الذي كتبت وأنا الذي شفعت في بابه.

والمعنى القصدي في جملة: هو يعطي الجزيل، إن تقديم الفاعل لا يعني ثبوت العطاء فيه وانعدامها في الآخرين، وإنما القصد هو جعل العطاء صفة من صفاته دون نفيها عن الآخرين.[4]

---

[1]- المصدر السابق، ص131.

[2]- المصدر نفسه، ص131.

[3]- المصدر نفسه، ص ص133-134.

[4]- المصدر نفسه، ص134.

تبين جميع هذه الأمثلة أنّ الجرجاني كان نحويا يدافع عن نظرية التركيب النحوي وأهمية هذا الأخير في تحديد المعنى ونظم الكلام وصياغته على نسق لغوي معين.

4- الحذف:

تحدث الجرجاني عن أهميته قائلا: "وهو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن".[1]

فالحذف عنده ذو قيمة بلاغية جمالية "وانظر إلى موقعها في نفسك وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها قلبت النفس عما تجد وألطفت النظر فيما تحس به، ثم تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأن رب حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد".[2]

ومن الأمثلة التي يكون الحذف فيها أدل وأبلغ من الذكر قول عبد الله بن الزبير[3]

تشاءب حتى قلت داسع نفسه وأخرج أنيابا له كالمعاول

والكلمة المحذوفة عنا هي المبتدأ "هو" والتقدير حتى قلت هو داسع نفسه. علما أن المعنى يستقيم ويكون حسنا بدونه[4]. يمكن اختصار حالات الحذف فيما يلي:

1- عدم ذكر المفعول به لفظا وتقديرا بحيث يكون الفعل المتعدي مثل اللازم كقولنا: هو يعطي، هو يجزل هو يحل، هو يعقد، والمعنى يكون شاملا ومطلقا أي إنّالعطاء

---

[1]- المصدر السابق، ص149.

[2]- المصدر نفسه، ص152.

[3]- المصدر نفسه، 152.

[4]- المصدر نفسه، ص152.

صفة الشخص في كل شيء.[1] ولو قلنا هو يعطي الدنانير لأصبح العطاء خاصا بها.[2]

2- عدم ذكر المفعول به لفظا ووجوده تقديرا لدلالة الحال عليه بحيث يمكن تقدير المفعول به كقولنا: أصغيت إليه والتقدير: أصغيت إليه أذني ومن الشعر قول البحتري

شجو حساده وغيظ عداه أن يرى مبصر ويسمع واع

وتقدير المفعول المحذوف: أن يرى مبصر محاسنه.

3- الحذف على شريطه التفسير وهو لا يدل الحال عليه وإنما اللفظ المذكور يفسر المحذوف، وقد مثل له النحاة بالآية الكريمة: "**إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ**"[سورة الإنشقاق الآية 1] والتقدير "اذا انشقت السماء" . ومن الأمثلة التي أوردها عبد القاهر قول الشاعر:

لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

وتقدير الحذف: لو شئت أن لا تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، فالفعل لم تفسدها محذوف يفسره المذكور يعلق الجرجاني عن سر الحذف هنا "ثم حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه، ثم هو على ما تراه وتعلمه من الحسن والغرابة، وهو على ما ذكرت لك من أنّ الواجب في حكم البلاغة أن لا ينطق بالمحذوف ولا يظهر إلى اللفظ".[3]

5- التعريف والتنكير:

يسهم التعريف والتنكير في تحديد المعنى لذلك أولى له صاحب دلائل الإعجاز أهمية كبيرة مستدلا بالأمثلة دائما .يقول الله تعالى "**ولكم في القصاص حياة**"[سورة

---

[1]- المصدر السابق، ص154.

[2]- المصدر نفسه، ص155.

[3]- المصدر نفسه ، ص162.

البقرة الآية 179] فقد جاءت كلمة "حياة" نكرة لأن الانسان إذا أراد أن يقتل أحدا من الناس وهو يعلم أنه القاتل سَيُقتَلُ قصاصا، فيكون القصاص ردعا يمنعه من القتل، وعلى هذا الأساس تكون حياة الشخص المراد قتله مستفادة من هذا القصاص، لذلك جاءت كلمة حياة نكرة لتدل أن الشخص حي في باقي عمره، ولو كانت معرفة لكان القصد هو الحياة بكاملها،[1] وبعبارة أخرى فإن الحياة بالتنكير تدل على بعضها أو على جزء منها، أما الحياة بالتعريف فهي تدل على الحياة بكاملها، والأمر نفسه في الآية "**يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاس**"**[سورة النحل الآية 69]**فكلمة شفاء جاءت نكرة للدلالة بأن الشفاء ليس للجميع.[2] وإنما لبعضهم ولبعض الأمراض.

إذا عدنا إلى حديث الجرجاني عن التعليق والنظم، فإنه يشير إلى ما يعرف بالمعنى الوظيفي والمعنى المعجمي وهما يكونان معا المعنى المقالي، ويشير أيضا إلى المعنى المقامي (الاجتماعي) وكلاهما يكونان ما يعرف اليوم بالمعنى الدلالي وهو الهدف الذي يسعى إليه الدرس اللغوي الحديث في فهم معنى الجملة[3] عندما قال الجرجاني أن المزية ليست في معاني النحو أنفسها، ولكن بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام.[4]

وضع الجرجاني دلائل الإعجاز من أجل أن يجعل الإعجاز القرآني في مكانه الصحيح ضمن الدرس النحوي وتوخي معاني النحو وقوانينه ، ولهذا كانت الدراسات

---

[1]- المصدر السابق ، ص ص271، 272.

[2]- المصدر نفسه ، ص272.

[3]- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، الدار البيضاء ، دار الثقافة ، د ت ، ص 332 وما بعدها.

[4]- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص99.

التي تناولت الإعجاز تقوم على النحو كما في الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان التوحيدي[1].

إنّ حديث الجرجاني عن الجوانب المعنوية في بناء الجملة كالتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والقصر، والإيجاز والإطناب والمساواة جعل الدرس اللغوي في العربية يضطر إلى إنشاء علم جديد هو علم المعاني، وهو في الحقيقة الجانب المعنوي من علم النحو، وكان من المفروض أن يكون في داخل علم النحو، باعتباره قمة الدراسات النحوية أو فلسفتها كما يرى الدكتور تمام حسان.[2]

يظهر أثر النظم في الدرس النحوي من خلال نظرية تظافر القرائن التي تعد أهم المحاولات لفهم النظام اللغوي للعربية وأبعدها أثرا أول دراسة في تاريخ النحو العربي كله تقيم منهجها على أساس فكرة التعليق فحولت الدرس النحوي بهذا من منهجه اللفظي المتمثل في الإعراب القائم على فكرة العامل إلى منهج قرائن التعليق الذي يضع المعنى في المقام الأول.[3]

تذهب بعض الآراء إلى أن الجرجاني كان يتحرك نحويا في مستويين البناء العقلي الباطيني، والبناء اللفظي الملموس وهو ما يشبه البنية المضمرة والظاهرة عند تشومسكي.[4]

يرمي عبد القاهر إلى تعيين محددات الصحة النحوية وهو ما يراه علم اللغة الحديث وصفه القوانين النحوية ويسعى إليه تشومسكس واتباعه عن طريق القواعد التوليدية.[5]

---

[1]- مصطفى حميدة، نظام الارتباط والربط في تراكيب الجملة العربية،الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ،ط1 ،1997، ص25.

[2]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص18.

[3]- مصطفى حميدة نظام ارتباط في تراكيب الجملة العربية، ص67.

[4]- محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص31 وما بعدها.

[5]- مصطفى حميدة نظام ارتباط في تراكيب الجملة العربية، ص61.

المحاضرة العاشرة :

أثر نظرية النّظم في المحدثين النحاة

المحاضرة العاشرة : أثر نظرية النظم في المحدثين من النحاة

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف تأثر النحاة المحدثين بنظرية النّظم

النظم نظرية نحوية تمكن صاحبها من تطبيقها على أبيات من الشعر وآيات من الذكر الحكيم ليثبت أن الاعجاز في القرآن يكمن في نظمه ونسقه اللغوي، وتوصل إلى أن معرفة النحو واتباع قوانينه هو أساس نظم الكلام العادي، وإذا أحسن المتكلم توظيف تلك القوانين على وجه مخصوص صار ذلك الكلام فنيا بليغا، وامتد تأثيرها إلى النحاة المحدثين في العصر الحديث ولا يزال .

يعد تمام حسان من أكثر اللغويين تأثرا بنظرية النظم حيث صرح في كتابه اللغة العربية معناها ومبناها باعتماد آراء الجرجاني أعترف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعنى النحوي والدلالي في هذا الكتاب حيثجرى الانتفاع أحيانا بعبارات هذه العلامة وأحيانا أخرى بإشارته[1] وعنوان كتابه يدل على ذلك عندما قدم فيه المعنى على المبنى متأثرا بالجرجاني الذي دافع عن أسبقية المعنى اللفظي والمعنى النحوي عن اللفظ . وفي هذا السياق يرى تمام أن " كل دراسة لغوية لا في القصص فقط بل في لغة من لغات العالم لابد أن يكون موضوعها الأول والأخير هو المعنى وكيفية ارتباطه بأشكال التعبير المختلفة فالارتباط بين الشكل والوظيفة هو اللغة وهو العرف وهو صلة المبنى بالمعنى وهذا النظر إلى المشكلة يمتد من الأصوات إلى الصرف إلى النحو إلى المعاجم إلى الدلالة" [2]، فالمعاني لها مبانيها الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية المعبرة عنها والدالة عليها واهتمامه بعنصري المعنى والمبنى باعتبارهما عنصرين أساسيين لجعل

---

[1]- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص18.

[2]- المرجع نفسه ، ص09.

اللغة نظاما رمزيا متكاملا[1] ينفي الطابع العشوائي للغة، ويؤكد على ائتلاف العناصر وتناسق الأجزاء في نظام لغوي "اللغة منظمة من الأنظمة يتألف كل منها من مجموعة من المعاني تقف بإزائها مجموعة من الوحدات التنظيمية أو المباني المعبرة عن هذه المعاني، ثم طائفة من العلاقات التي تربط ربطا ايجابيا".[2]

ويظهر تأثره أيضا عندما عد فكرة التعليق عند الجرجاني أذكى محاولة لتفسير العلاقات السياقية، والتعليق بالنسبة لتمام هو "الفكرة المركزية في النحو العربي وأن فهم التعليق على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العامل النحوي والعوامل النحوية لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية".[3] معتبرا نظام تظافر قرائن التعليق بديلا عن اعتبار العامل النحوي في تفسير العلاقات النحوية.

قسم تمام حسان القرائن على النحو التالي:[4]

1. قرائن معنوية الإسناد: العلاقة الرابطة بين المبتدأ والخبر والفعل والفاعل ونائبه.

2. التخصيص: يندرج تحتها: التعدية، الغائبة (المفعول لأجله والمضارع بعد اللام)، المعية، الظرفية، التحديد والتوكيد (المفعول المطلق)، الملابسة (الحال).

3. المخالفة: المنصوبات التي يتغير المعنى برفعها.

4. النسبة: معاني حروف الجر والإضافة.

---

[1]- معزوز عبد الحليم، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان الحاج صالح دراسة استميولوجية في المرجعية والمنهج، أطروحة دكتوراه مخطوطة جامعة باتنة، 2017، ص 135.

[2]- تمتام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص34.

[3]- المرجع نفسه، ص189.

[4]- المرجع نفسه، ص231.

قرائن لفظية: تضم الحركة الإعرابية، الرتبة، الصيغة المطابقة، الربط، التضام، الأداة، النغمة.فهذه القرائن كما أسلفنا تغني عن فكرة العامل وهي مسؤولة كلها عن أمن اللبس.

ويبدو الأستاذ مصطفى إبراهيم متأثرا بالنظم رافضا أن يقتصر النحو على دراسة الحركات الإعرابية منتقدا النحاة "حين قصروا النحو على أواخر الكلمات وعلى تعرف أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقا منحرفة إلى غاية قاصرة، وضيعوا كثيرا من أحكام نظم الكلم وأسرار تأليف العبارة، فطرق الإثبات والنفي والتوقيت والتقديم والتأخير وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس إلا ما كان ماسًّا بالإعراب أو متصلا بأحكامه، وفاتهم لذلك كثير من فقه العربية وتقدير أساليبها"[1]، متأسفا عن فصل ما يتعلق بتأليف العبارة من تقديم وتأخير وحذف وفصل ووصل عن النحو وذهب إلى أن جمهور النحاة لم يزيدوا في أبحاثهم حرفا، ولا اهتدوا منه بشيء، وآخرون منهم أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بيانا لرأيه وتأييدا لمذهبه، وجعلوها أوصل علم من علوم البلاغة سموه (علم المعاني) وفصلوه عن النحو فصلا أزهق روح الفكرة وذهب بنورها، وقد كان أبو بكر (أي عبد القاهر) يبدىء ويعيد في أنها معاني النحو، فسموا علمهم (المعاني) وبتروا الاسم هذا البتر المضلل.[2]

ويشير مصطفى إبراهيم إلى إهمال النحاة للنظام النحوي أو نسق تركيب الكلمات منظومة في الجملة عندما جعلوا البلاغة علما مستقلا بنفسه ، وفصلوها عن التركيب النحوي .

والطرح نفسه يؤكده فاضل الساقي حيث يرى أن النحاة لم ينتبهوا إلى المعاني الوظيفية للتركيب التي وضعها الجرجاني ولو ساروا على نهجه لتغيرت معالم

---

[1]- مصطفة إبراهيم، إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1995، ص3.

[2]- المرجع نفسه، ص19.

الدراسات اللغوية عما آلت إليه لأنّ دراساته في فهم أساليب التراكيب اللغوية تمثل قفزة نوعية في عالم اللّغة.[1]

ويتعجب مازن المبارك من فصل دراسة النحو عن المعاني عندما يقول: "إننا نعجب لما يدرس الطالب في درس النحو أماكن حذف المبتدأ أو ذكره ومواطن تقديمه أو تأخيره دون أن تذكر له بالتفصيل الكافي دواعي الذكر والحذف والتقديم والتأخير، وإنما لدواعي تزيد الوضوح وتعمق الفهم وتيسر الدرس، إننا ندرس النحو بعيدا عن معانيه، وندرس المعاني بعيدة عن القواعد زفي اعتقادنا أن ذلك فصل غير صحيح، وأنه لا بد من الوصل بينهما حتى تقوم في أذهان المتعلمين وحدة من القواعد والأحكام والتعليلات والأمثلة، تضبط لهم ألسنتهم وأقلامهم وتكفل لهم السلامة في التعبير، والدقة في الصياغة، مع مراعاتهم ومقتضيات الأحوال على النحو الذي يوضحه علم المعاني"[2]. ومعنى هذا أن الدارسين عندما أعملوا دراسة نسق تركيب الجملة أو نظامها النحوي لم يكن بوسعهم دراسة التفاعل الدلالي النحوي بين الكلمات ووظائفها النحوية.

وتأثر سناء حميد البياتي بنظرية النظم واضح من خلال كتابها (قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم) الذي قسمته إلى بابين: الأول سمته باب معاني النحو تحدثت فيه عن الإسناد والتخصيص والإضافة والإتباع، والثاني باب معاني الجمل درست فيه أسلوب النفي وأساليب الطلب وأسلوب الشرط والأساليب الافصاحية (النداء، والمدح، والذم ، والتعجب) ، وقالت في مقدمة الكتاب أنها وضعت قواعد ثابتة لنظرية النظم، وعلى ضوئها بنت صرح النحو العربي، تاركة نظرية العامل – رغم أهميتها– لأنها لم تعد مقبولة من طرف الدارسين.[3]

---

[1]- فاضل الساقي، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، ص95.

[2]- مازن المبارك، الموجز في تاريخ البلاغة، دار الفكر، بيروت، دت، ص ص120، 121.

[3]- سناء حميد البياتي، قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، ص ص9، 10 .

تقول سناء البياتي وهي تشرح معاني النحو: "ويقصد الجرجاني بـ (معاني النحو) المعاني الذهنية التي تتولد في فكر المتكلم عند نظم الجمل، تلك المعاني التي تنشأ من تحديد العلاقات بين الأشياء المعبر عنها بالكلم، فتربطها ببعضها، كما يربط السلك الشفاف حبات العقد، لذلك يصح الكلام نوعا من الهذيان في حالة فقدانها"[1].

وتوضح مراحل نظم الكلام في ضوء معاني النحو قائلة: "لذلك فإننا إذا أردنا أن نكشف عن معاني النحو التي تتألف منها الجملة لابد من معرفة المعاني الذهنية التي تتألف منها الفكرة، وهذا يتطلب التوغل في الذهن لكي نتحسس ما يجري في أذهاننا عند نظم الجمل، وهذا ما فعلته، فقد توغلت في ذهني كي أتحسس ما يجري فيه عند نظم الجمل، وبعد التفكير العميق اكتشفت ما يأتي"[2].

أن هناك نوعين من الجمل: نوع يمر في ذهن المتكلم بمرحلتين عند نظمها: المرحلة الأولى وفيها يدرك الفكر العلاقات بين الأشياء يقوم بتحديدها كعلاقة الإتباع أو الإسناد أو الإضافة، وينجز المعنى الذهني الذي يحدد العلاقة بين شيئين بومضة سريعة شريطة أن يكون الربط وتحديد العلاقة مما تعارف عليه أبناء اللغة وتوافقوا عليه.

وفي المرحلة الثانية يتم تحديد الألفاظ الملائمة للمعنى الذهني (النحوي) من الرصيد اللغوي، وكلّما حصل التلاؤم (التناسق) بين المعنى النحوي واللفظ حصل التمايز الأسلوبي الفني.

وعليه فإن معاني النحو هي التي تتحكم في المتكلم وتفرض عليه أن يختار ما يناسب كلامه من اسم أو فعل أو حرف ، وإذا سمح نظام الجملة بأكثر من اختيار، كأن يختار الفعل أو الاسم للمعنى النحوي نفسه كما في الجملتين التاليتين:

"يسعدني أن تنجح" و "يسعدني نجاحك" فإن المتكلم يختار أنسبهما.

---

[1]- المرجع السابق، ص15.

[2]- المرجع نفسه، ص15.

والجمل التي تمر بمرحلتين عند سناء حميد البياتي هي الجمل الخبرية المثبتة، أما الجمل التي تمر بثلاث مراحل فقد زادت عن الخبرية بمرحلة تحديد المفهوم العام، أو المعنى العام الذي يتحدد بأداة من أدوات اللغة كالنفي والاستفهام والشرط.[1]

[1]- المرجع السابق، ص15 ومابعدها.

المحاضرة الحادي عشر :

أهم الإنتقادات الموجهة لنظرية النّظم

المحاضرة الحادي عشر : أهم الانتقادات الموجهة لنظرية النّظم

الجمهور المستهدف : السنة أولى ماستر لسانيات عربية

الأهداف الخاصة :

-أن يعرف الإنتقادات الموجهة لنظرية النّظم

أنفق عبد القاهر وقتا طويلا من اجل إخراج نظرية النظم على صورتها التي وصلت إلينا، وأسدى إلى البلاغة العربية فضلا كبيرا عندما نجح في إبراز العلاقة بين معاني النحو وكيفية النظم ومع ذلك فقد وقع في بعض الهنات والسقطات التي لا تقلل من شأن النظرية وهي:[1]

- تكرار تعريف النظم والمجاز والاستعارة

- التّداخل بين النحو والبلاغة يقول كامل الخولي "فكان لهذا التداخل أثره في اضطراب منهج المادة المقصودة بالدرس وما حطم بلاغة المتأخرين شيء كما حطمها هذا التداخل الذي أسرفوا فيه وأساء إلى طريقهم".[2] ويؤكد عبد القادر حسين ذلك قائلا "ولو أن المتأخرين أسرفوا في إدخال النحو في البلاغة، وهم يضعون نصب أعينهم شرح النظرية لما أساؤوا إلى أنفسهم، وما عابهم أحد، ولَكَنَهُم النحو عن النظم، وجعلوه هو العمدة والقصد في أبواب البلاغة دون أن يدخلوه في إطار النظرية، فصار النحو جافا لا روح فيه على النقيض مما كان عند عبد القاهر الذي أثرى النحو وجعل منه نحوا راقيا".[3]

- تطبيق نظرية النظم الجرجانية لا يتعدى الجملة أو الجملتين، ولا يتجاوزها على القطعة أو القصيدة والسبب أن العرب لم يعرفوا في ذلك الوقت الوحدة العضوية

---

[1]- ينظر: عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص397 وما بعدها.

[2]- أثر القرآن، ص ص180،179.

[3]- عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص398.

والموضوعية للقصيدة وإنما عرفوا وحدة البيت؛ إذ إن كل بيت مستقل عن الآخر، فتأثرت البلاغة بمنهج القدماء في النقد، فاهتمت بالجملة دون النص، ثانيا: أن النظم عند عبد القاهر يقوم على توخي معاني النحو، والنحو عنده لم يتعد الجملة وما يطرأ عليها من اختلاف وبالتالي فالوحدة التي لاحظها في وحدة الجملة لا النص.

جاءت بعض الموضوعات مكررة في مواضع أخرى دون أن يضيف إليها شيئا جديدا فتكرارا لمثال الواحد في العديد من الصفحات والأبواب يؤدي إلى تسرب الملل إلى النفوس ويسلب منها رغبة المتابعة لما يقول كما في بيت أمرئ القيس **(قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل)** ، والآية الكريمة { **واشتعل الرأس شيبا**} والمثال القديم عند النحاة ضَرَبَ زَيْدٌ عُمَرًا يوم الجمعة تأديبا له فقد ترددت هذه الشواهد مرات كثيرة لتبيان النظم ومعاني النحو وقد يقال أنه كان يدافع عن تأسيس نظرية النظم وبنائها على أسس من النحو، ولو كانت هذه حجته كان من المفروض أن يغير الأمثلة والشواهد مع بقاء الهدف وهو تأكيد تأسيس النظرية . يميل الجرجاني شأنه شأن المتكلمين إلى الجدل العقلي والقياس المنطقي وصناعة الأمثلة ليشرح بها فكرة بناء النظم كما في الفروق بين خبر وآخر كقولك زيد منطلق وزيد المنطلق والمنطلق زيد فهي فروق نابعة من عقل فلسفي يهتم بالفلسفة اللغوية أكثر من الجمالية التي يعتمد عليها النظم ويعول بالإضافة إلى هذه الانتقادات يمكن إضافة ما يلي:

– تغافل عن جمال التصوير وحيويته في الاستدلال على المجاز في القرآن كما يرى سيد قطب.[1]

أهمل قيمة اللفظ الصوتية مفردا ومجتمعا مع غيره.[2]

بالغ في تسليط الضوء على النظم، دون التصوير الفني وأهمل الإشادة بأثر الاستعارة التي لولاها لفقدت العبارات القرآنية الحسن الذي أرجعه عبد القاهر إلى النظم،

---

[1]- سيد قطب، التصوير الفني في القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط17، 2004، ص33.

[2]- المرجع نفسه، ص145.

وفرضا أن **الآية {واشتعل الرأس شيبا}** جاءت على النحو التالي "وامتلأ الرأس شيبا" حيث المحافظة على بنية النظم مع التخلي عن الاستعارة كم تفقد العبارة من الحسن والروعة والفخامة.[1]

النماذج التطبيقية التي حللها الجرجاني وهو يدافع عن النحو بوصفه أساس النظم والبلاغة أغلبها من الشعر، رغم أنه كان بصدد إثبات أنّ الإعجاز اللغوي في القرآن يكمن في نظمه وتراكيبه النحوية

[1]- عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية، ص37.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

الكتب العربية :

1- أبو بكر البقلاني ، إعجاز القرآن ، المكتبة الثقافية ، بيروت ، لبنان ، 1973 .

2-أبو هلال العسكري ، الصناعتين الكتابة والشعر ، تحقيق مفيد قحيمة ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1989 .

3-أحمد أبو زيد ، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن ، دار الأمان ، الرباط ، المغرب .

4- أحمد حسن صبرة ، التفكير الإستعاري ، مكتبة الوادي ، بدمنهور ، ط2 ، 2002 .

5-أحمد درويش ، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، د. ط ، د.ت .

6- أحمد مختار عمر ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط5 ، 1998 .

7- بن عبد السلام العز ، الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، د ت .

8- تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، د ت

9-الجاحظ ، الحيوان ، شرح وتحقيق يحي الشامي ، القاهرة ، ط2، 1990.

10- حاتم صالح الضامن ، نظرية النظم تاريخ وتطور ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1979 .

11-حسن المدن ، بلاغة الخطاب الإقناعي نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب ، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، 2013 .

12- الخطابي حمد بن محمد ، بيان إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، د ت .

13-درويش الجندي نظرية عبد القاهر في النظم ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، 1960 .

14-رجب عبد الجواد إبراهيم ، دراسات في الدلالة والمعجم ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، 2001 .

15-رشيد بلحبيب ، النحو والبلاغة مقاربة في الإتصال والإنفصال ، مجلة جذور ، العدد4 ، المجلد 2 ، سبتمبر 2000 .

16-زكي مبارك ، النثر الفني في القرن الرابع ،ج2 ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، لبنان ، د ت .

17-سبويه ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ط2، 1977.

18-سمير شريف استيتية ، منازل الرؤية ، دار وائل للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2003 .

19-سناء حميد البياتي ، قواعد النحو في ضوء نظرية النظم ، دار وائل للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 2003 .

20-سيد قطب ، البحث الأدبي ، أصوله ومناهجه ، الطبعة الشرعية السادسة 1990 .

21-سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط17 ، 2004 .

22- الشريف الجرجاني ، التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1985.

23-شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف بمصر ، ط3، د ت

24-صالح بلعيد ، نظرية النظم ، دار هومة ، بوزريعة ، الجزائر ، 2004 .

25- عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية ، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، لبنان ، 2002.

26- عبد الحميد هنداوي ، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم ، دار الثقافة للنشر ، ط1 ، 2004 .

27- عبد الرحمن التومي ، الكفايات مقاربة نسقية ، مطبوعات الهامل ، وجدة ، المغرب ، ط6، 2007.

28- عبد العزيز عتيق ، في البلاغة العربية ، علم البيان ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، 1985 .

29- عبد الفتاح لاشين ، التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية ، دار المريخ ، د ت .

30- عبد القادر حسين ، أثر النحاة في البحث البلاغي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ، مصر ، د ت .

31- عبد القاهر الجرجاني ، أسرار البلاغة ، تحقيق الشيخ محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة بيروت ، لبنان .

32- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، موفم للنشر ، تقديم علي أبو زقية ، 1991 .

33- عبد الله زيد عمر ، السياق القرآني وأثره في الكشف عن المعاني ، مجلة جامعة الملك سعود ، م 15 ، العلوم التربوية والدراسات الإسلامية .

34- عبد المالك بومنجل ، تأصيل البلاغة ، بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية ، منشورات مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده ، جامعة سطيف 2، د ت

35-علي بن عيسى الرماني ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ن تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط4 ، د ت .
36-فاضل الساقي ، أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1977.
37-فاطمة الشيدي ، المعنى خارج النص ، أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ، دار نينوي ، سوريا ، 2011.
38-القاضي عبد الجبار ، المغني في أبواب التوحيد والعدل ، ج16 ، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د ت .
39-قدور أحمد محمد ، مبادئ اللسانيات ، دمشق ، 1986 .
40-مازن المبارك ، الموجز في تاريخ البلاغة ، دار الفكر ، بيروت ، د ت .
41-محمد بن عبد الغني المصري ، نظرية أبي عثمان عمر بن بحر الجاحظ في النقد الأدبي ، دار مجدلاوي ، عمان ، الأردن ، ط1 ، 1987 .
42-محمد بوادي ، التفكير الدلالي عند البلاغيين العرب الأوائل ، مجلة العلوم الإجتماعية ، جامعة سطيف ، العدد20جوان 2015 .
43-محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 2006
44-محمد عبد المطلب ، البلاغة والأسلوبية ، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية للنشر لونجمان ، ط1 ، 1994.
45-محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون ، الأسلوبية والبيان العربي ، الدار المصرية اللبنانية ، ط1 ، 1992 .
46-محمد محمد أبو موسى ، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، مصر ، ط1 ، 1998 .

47-محمد محمد أبو موسى ، مراجعات في أصول الدرس البلاغي ، مكتبة وهبة ، عابدين ، القاهرة ، مصر ، ط1 ،2005 .
48-محمد مفتاح ، التشابه والإختلاف ، نحو منهجية شمولية ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 1996.
49-محمود أحمد نحلة ، في البلاغة العربية ، علم المعاني ، دائرة العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990 .
50-مسعود بودوخة ، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها ، البدر الساطع للطباعة والنشر ، العلمة ، سطيف ، ط1 ، 2016 .
51-مصطفى إبراهيم ، إحياء النحو ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، 1995 .
52-مصطفى حميدة ، نظام الإرتباط والربط في تراكيب الجملة العربية ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، ط1 ، 1997 .
53-معزوز عبد الحليم ، تأصيل اللسانيات العربية عند تمام حسان وعبد الرحمان حاج صالح دراسة إبستمولوجية في المرجعية والمنهج ، أطروحة دكتوراه مخطوطة بجامعة باتنة ، 2017 /2018 .
54-مهدي المخزومي ، في النحو العربي نقد وتوجيه ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، ط1 ، 1964 .
55-نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، الكويت ، 1978
56-وليد محمد مراد ، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني ، دار الفكر ، دمشق ، ط1 ، 1983 .

الكتب المترجمة :

57-ريكور بول ، نظرية التأويل ، الخطاب وفائض المعنى ، ترجمة وتعليق ، سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، بيروت ، 2003

58 كيس فيرستيج ، أعلام الفكر اللغوي ، ترجمة أحمد شاكر الكيلالي ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط1 ، 2011 .

المعاجم :

59-ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق عامر أحمد حيدر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،ط1 ، 2003 .

60-الخليل بن أحمد الفراهدي ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السمرائي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، لبنان ، 1988.

61 -الزمخشري ، أساس البلاغة ، تحقيق محمد باسل عيون السود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1998.

62 -المعجم العربي الأساسي ، المنظمة العربية للثقافة والفنون ، تونس ، 1989 .

الكتب الأجنبية :

63 Barthes , système de la mode , ed seuil , paris ,1967.

64 Robert .p,le petit robert 1 , dictionnaire le robert , paris , 1992 .

فهرس الموضوعات: **الصفحة**

المحاضرة الأولى : مفهوم النّظم ، التأليف ، التعلق ، النسق 4
النظم.....4
التأليف 5
النسق 6-7
التعليق 8
المحاضرة الثانية : مفهوم النّظم في الدراسات اللغوية البلاغية 10-13
المحاضرة الثالثة : مفهوم النّظم والإعجاز القرآني 15-24
المحاضرة الرابعة : نظرية النّظم عند عبد القاهر الجرجاني 26
أسس نظرية النظم 29
ترتيب المعاني في النفس 30
التعلق النحوي 32
تخير الموقع 34
معاني النحو 36
المحاضرة الخامسة : نسبة نظرية النّظم غلى عبد القاهر الجرجاني 39-42
المحاضرة السادسة : الآراء المنكرة للنسبة : 44-48
المحاضرة السابعة : النّظم بين البلاغة والنحو 51
الإستعارة 52
التمثيل 55-57
المحاضرة الثامنة : الدلالة والسياق 59
أهمية السياق اللغوي 60
علاقة السياق بالدلالة 61-63
أثر السياق في المشترك اللفظي في الترادف 63
أثر السياق في الكلمة المفردة 65
المحاضرة التاسعة : نظرية النّظم وأثرها في الدرس النحوي 69

تعلق الاسم بالاسم 69
تعلق الاسم بالحرف 70
تعلق الحرف بهما 70
الاسناد 71
التقديم والتأخير 74
الحذف 76
التعريف والتنكير 77
المحاضرة العاشرة : أثر نظرية النّظم في المحدثين من النحاة 81- 86
المحاضرة الحادي عشر : أهم الانتقادات الموجهة لنظرية النظم 88-90
قائمة المراجع والمصادر .....
فهرس الموضوعات .....